وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحي فارس – المدية –
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية
شعبة التاريخ

الجوسسة الفرنسية في دولة الأمير عبد القادر " ليون روش أنموذجا "

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية

من إعداد الطالبتين:
– جهيدة العزاوي
– صفية رمانة

إشراف الأستاذ:
– كريم مقنوش

اللجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
سعيدة زفزاف	أستاذ محاضر "ب"	رئيسا
كريم مقنوش	أستاذ محاضر"ب"	مشرفا ومقررًا
سالمي مختار	أستاذ محاضر"ب"	عضوًا مناقشًا

السنة الجامعية: 1441-1442هـ/2020- 2021م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحي فارس – المدية –
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية
شعبة التاريخ

الجوسسة الفرنسية في دولة الأمير عبد القادر " ليون روش أنموذجا "

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية

من إعداد الطالبتين:
– جهيدة العزاوي
– صفية رمانة

إشراف الأستاذ:
– كريم مقنوش

اللجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
سعيدة زفزاف	أستاذ محاضر "ب"	رئيسا
كريم مقنوش	أستاذ محاضر "ب"	مشرفا ومقررًا
سالمي مختار	أستاذ محاضر "ب"	عضوًا مناقشًا

السنة الجامعية: 1441-1442هـ/ 2020- 2021م


بسم الله الرحمن الرحيم

شـــكر وعرفـــان

بداية نحمد الله ونشكره على أن وفّقنا ومهّد لنا سبيل إتمام هذا العمل

ثمّ نتوجّه بجزيل الشكر والامتنان إلى الأستاذ المشرف " كريم مقنوش " على توجيهاته ورعايته للبحث منذ كان فكرة إلى أن تبلورت في هذا البحث والشكر موصول إلى جميع عمال قسم التاريخ، بجامعة يحيى فارس، من أساتذة وإداريين وموظفين

وأخيرا، إلى كل من ساهم في تنشيط الهمم وتحريك القلم ولو بكلمة.



إهـــــداء

إلى من أضاءت لي درب الحياة بنور الإيمان، والتربية أغلى الناس إلى قلبي" أمي"

إلى من علمني أن العلم تواضع والعبادة إيمان والنجاح والإرادة "أبي رحمه الله "

إلى إخوتي وأخواتي " نذير، كريم، حنان، إيمان "

إلى من كانت الحياة معهم أحلى وشاركوني أفراحي وأحزاني صديقاتي " أسيا، الزشة، صفية، أحلام "

إلى كل من ساندني من قريب أو بعيد

جهيدة

إهـــــــداء

أيام مضت من عمرنا بدأناها بخطوة وها نحن اليوم بصدد قطف ثمار هذه المسيرة التي كانت حافلة بالمغامرات والصعاب كان هدفنا السعي للنجاح.

أشكر الله أولا وأخيرا على أن وفقنا وسدد خطانا لإتمام هذا العمل.

أتوجه بالشكر إلى نبع الحنان إلى الغالية" أمي زاهية" التي كانت شمعة تحترق لتنير دربنا بنور قلبها، اللهم أحفظها وجعلها سيدة من سيدات أهل الجنة

إلى سندي وقدوتي ومرشدي" أبي الغالي مفتاح" لقد كنت بجانبي في كل المراحل التي مضت تلذذت بالمعاناة لنسعد نحن أنفقت، ربيت، علمت، جزاك الله ألف خير، وجعلك تاج فوق رؤوسنا.

إلى من ساندني وكان لي خير معين في أدق تفاصيلي "زوجي ربيع"

إلى عائلتي الثانية التي لم تنساني بالدعاء خاصة الغالية "أمي لالاهم"

إلى من حبه يجري في عروقي ويلهج بذكراه لساني أخي الغالي " عيسى"

إلى شقيقاتي الغاليات: "سعاد، كريمة، نبيلة، أمال، مروة، أسما"

وإلى من منحني لقب الخالة إلى بهجة البيت وسعادتها "قصي، محمد عبد الرحمان، ألاء، فردوس، سارة،سجود، مريم"

إلى جدتي "فريحة" أطال الله في عمرها وخالي "الهاشمي"

إلى من قاسمتني عناء هذا العمل صديقتي حبيبة قلبي "جهيدة"

إلى جميع صديقاتي اللواتي قضيت معهم أجمل أيام حياتي في إقامة وهيبة قبايلي " يسرى، خديجة، سليمة، بشرى، جهيدة، أسيا، أحلام"

صفية رمانة

قائمة المختصرات

العربية	
تح	**تحقيق**
تر	**ترجمة**
ط	**طبعة**
ج	**جزء**
ص	**صفحة**

المقدمة

من المعروف أن الحملات الاستعمارية الكبرى باتجاه العالم الإسلامي كانت تسبقها وتلحقها حملات مركزة بالجوسسة للتعرف على الأرضية التي سيتم استعمارها، وكان عادة يقوم بالمهمة مجند عسكري لديه خبرة واسعة بالمنطقة .

لكن بعد الغزو الاستعماري العسكري سرعان ما اكتشف المستعمرون أن هناك مساحات كبيرة في الظل لم يتمكنوا من غزوها، فاحتلال الشعوب يقتضي التعرف بدقة على جغرافيتهم النفسية وخريطة عقولهم، وهنا بدأت المرحلة الثانية من حركة الجوسسة الاستعمارية وذلك بإرسال رجال ونساء إلى الدول المراد غزوها حتى يتغلغلوا وينفذوا إلى عمق أعماق النسيج الاجتماعي، ويقدموا التقارير الدقيقة والواقعة عن تجربتهم من الداخل.

والمتأمّل في سيرة هؤلاء الجواسيس، كالجاسوس لورنس العرب الانجليزي، وإليزابيث أبهارت الفرنسية، والجميلة فريا ستارك التي اخترقت الجزيرة العربية وبلاد فارس، والجندي مونسيل، وليون روش ...إلخ،لا يمكن إلا أن يقول بأنهم من أخلص الناس لأوطانهم حيث جعلوا من حياتهم الخاصة ميدان للتجربة العملية وكثير منهم مات أثناء أداء مهامه.

هذه الهيئة الجاسوسية ساهمت في إضعاف مقاومة الجزائر على غرار ما حدث مع الجاسوس ليون روش والأمير عبد القادر، ونحن في هذا العمل تطرقنا لموضوع الجوسسة الفرنسية في الجزائر وذلك من خلال دراسة الجاسوس ليون روش أنموذجا.

ب- دواعي اختيار الموضوع:

يعود اختيارنا للموضوع إلى الرغبة في:

- إبراز تلك الأعمال الاستعمارية الهدامة والتخريبية في الجزائر والتي ارتبطت بجواسيس استغلوا الإسلام ليخترقوا به عقولهم.

- يعتبر من أهم المواضيع لأن الكثير من الناس يعتقدون أن هؤلاء الأشخاص لم يكونوا جواسيس، وإنما قدّموا أعمال حضارية كبيرة، وهذا نجده في الكتب الأجنبية وبعض الكتب

العربية، ولكن باستعمال العقل وتحليل الأحداث والاعتماد على الأدلة المتوفرة نظهر الحقيقة للعيان عكس ما هو منتشر اليوم فمثلا: هناك مؤسسة تعليمية في باب الواد أطلق عليها اسم "ليون روش" وهذا دليل على المغالطة المنتشرة في وسط العامة لذلك دورنا نحن أن نصحح التاريخ كل باستطاعتنا.

– عند الدراسة عن حياة الأمير ومقاومته نجد بأنه يتسم بالشجاعة والقوة والذكاء والحنكة فكيف به يثق بجاسوس ولم يتفطن له إضافة أنه عينه بمثابة كاتبه الخاص.

ج– أهمية الدراسة:

ومن خلال أهمية اختيار الموضوع يتضح لنا جليّا الأهداف المراد الوصول إليها:

–كشف الستار عن حقيقة المشاريع الفرنسية وما حمل كل مشروع من عمليات جاسوسية هدامة وتخريبية في الجزائر.

– التعرف على الشخصيات التي كانت على رأس كل عملية جاسوسية تخريبية وما هي درجات المناصب التي شغلوها في الجزائر وفرنسا.

– تتبع مسار عمليات الجوسسة في الجزائر عامة وداخل مقاومة الأمير عبد القادر خاصة وصولا للنتيجة الموصل إليها في تشتيت وتفتيت مقاومة الأمير.

د– الإشكالية:

عمدت فرنسا طيلة تاريخها الاستعماري،على استخدام جواسيس كوسيلة لتحطيم خصمها، عن طريق تفتيت المقاومات الجزائرية والقضاء عليها، ومن أبرز الجواسيس التي وظفتها نذكر ليون روش كنموذج لاختراق مقاومة الأمير عبد القادر، ومن هنا نطرح الإشكالية التالية: **فيم يتمثل مضمون الجوسسة الفرنسية في دولة الأمير عبد القادر؟**

وما مدى مساهمة وتأثير هذه الجوسسة في إضعاف مقاومة الأمير وتصفيتها؟

وللإجابة على هذه الإشكالية نطرح الأسئلة الجزئية التالية:

-كيف كانت تُكّون فرنسا الجواسيس ومن هم أبرز النماذج(الجواسيس)؟

-بماذا تميزت علاقة الأمير عبد القادر والجاسوس الفرنسي ليون روش؟

-ما هي أهم النتائج الموصل إليها من خلال الأعمال الجاسوسية ؟

-كيف أثرت مهمة ليون روش على مقاومة الأمير عبد القادر؟

هـ- الدراسات السابقة للموضوع:

هناك البعض من المصادر والمراجع التي تناولت موضوع " الجوسسة الفرنسية في دولة الأمير عبد القادر ليون روش أنموذجا"، من بينها كتاب الأستاذ يوسف مناصرية الموسوم بـ" مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب"، حيث يعتبر من أهم المراجع التي اعتمدنا عليها في إنجاز بحثنا، وقد تناول فيه الجوسسة الفرنسية في الجزائر والمغرب بشكل سطحي خاصة في رحلة ليون روش إلى الحجاز وجمع الفتوى.

و- المنهج المتبع في الدراسة:

اعتمدنا في دراستنا على المنهج التاريخي التحليلي من خلال سرد وتحليل عمليات الجوسسة الفرنسية في دولة الأمير عبد القادر ووصف مدى تأثيرها على مقاومة الأمير عبد القادر.

ز- الخطة المعتمدة في الدراسة:

أما الخطة التي من خلالها تم دراسة هذا الموضوع "الجوسسة الفرنسية في دولة الأمير عبد القادر ليون روش أنموذجًا، فقد توزعت على مقدمة التي تحدثنا فيها عن الجوسسة الفرنسية في الجزائر، منوهين فيها على نماذج من الجواسيس كالجاسوس ليون روش مبرزين بعض الأسباب التي دفعتنا لاختيار الموضوع، فعتمدنا على طرح ذلك في مدخل تمهيدي، وثلاث مباحث لكل مبحث ثلاث مطالب وخاتمة متمثلة في مجموعة من استنتاجات المتوصل إليها مزودين دراستنا بملاحق وقائمة المصادر والمراجع.

جاء المدخل التمهيدي الموسوم بـ"**المشاريع الفرنسية لاحتلال الجزائر**" حيث تناولنا فيه الأطماع الفرنسية لاحتلال الجزائر وأسباب احتلال الجزائر لنذكر بعدها أهم المشاريع والمخططات لاحتلال الجزائر" مشروع بوتان أنموذجا ".

أما المبحث الأول المعنون بـ "**الجواسيس الفرنسيين في عهد الأمير عبد القادر**" تحدثنا عن نشأة الأمير عبد القادر وبداية المقاومة و ظهرت عبقرية الأمير عبد القادر الجزائري في بناء وتنظيم الإداري للدولة في عدة تجليات "العسكرية والسياسية وحتى على صعيد الصناعة والتجارة وبناء مؤسسات القضاء والتعليم والمؤسسات السيادية الكبرى" وتطرقنا إلى أهم معاهدات الأمير،" معاهدة دي ميشال1834م، ومعاهدة التافنة1837م.

وفي المبحث الثاني بعنوان "**نشاط ليون روش في دولة الأمير عبد القادر(1837-1849م)**" درسنا فيه شخصية ليون روش وقدومه إلى الجزائر وانتقال ليون روش إلى دولة الأمير عبد القادر وصولا إلى نهاية مهمة ليون روش في دولة الأمير وعودته إلى الجيش الفرنسي.

أما في المبحث الثالث "**مواصلة روش في مطاردة الأمير عبد القادر**" تطرقنا فيه إلى مهمة روش للوصول إلى هدفه الذي هو الفتوى، ودور ليون روش في العلاقات الجزائرية المغربية في هذه الفترة وختمنا هذا المبحث بتداعيات مهمة ليون روش على مقاومة الأمير.

وفي الخاتمة فقد تضمنت النتائج التي جاءت في البحث والذي تبين دور الهيئة في تخريج عناصر أمثال روش، ثم تبين آراء ومواقف روش التخريبية للقضاء على المقاومة الجزائرية ومتابعة خطوات الأمير عبد القادر وذلك حتى نهاية أمره.

ح- عرض أهم المصادر والمراجع:

اعتمدنا في هذه الدراسة على مجموعة معتبرة من المصادر والمراجع كانت سند لنا طوال رحلة هذه الدارسة نذكر أهمها:

-مذكرات ليون روش،اثنان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام.

-ليون روش،10سنوات في رحاب الإسلام

t1et t2.،trente doux ans a travers l'slam،L'eon Roches

ومن أهم مراجع نجد :

-يوسف مناصرية، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب.

-فريد بنور،المخططات الفرنسية باتجاه الجزائر1792-1830م.

- مصطفى خياطي، علاقات الأمير عبد القادر مع اليهود (1832- 1847)، تر: أمينة شيخ.

ط-صعوبات الدراسة:

واجهنا خلال إعداد مذكرتنا العديد من الصعوبات، لعل من أبرزها وأهمها:

-انتشار فيروس كوفيد -19 في العالم، وظهوره في الجزائر وهو ما استدعى استعمال البروتوكول الصحي، وعمل الجامعات والمكتبات بنظام الدفعات، وغلق العديد من المرافق التي كانت تساعدنا في انجاز مذكرتنا.

- الذين تطرقوا لهذا الموضوع أغلبهم فرنسيين أجانب لذلك نجد في مؤلفاتهم أو حتى مقالاتهم انحياز واضح وحتى في تفسيرهم للأحداث، وربما هذا راجع إلى قدم مصادر الموضوع مما أدى إلى خلوها من الروح العلمية.

-ندرة المصادر والمراجع بالإضافة إلى صعوبة ترجمة بعض المصادر الأجنبية.

وفي الأخير حاولنا دراسة جزئية من تاريخ الجزائر المعاصر في فترة المقاومة تحتاج إلى تعمّق وتحليل، ولا نظن أنها خالية من الهفوات والأخطاء وبذلك نرجو من الأساتذة الأفاضل أن يرشدونا إلى الصواب.

مدخل تمهيدي

المشاريع الفرنسية لاحتلال الجزائر

حظيت الجزائر بفضل انضمامها للخلافة العثمانية الإسلامية على مدى ثلاثة قرون بمكانة هامة وعظيمة، وكان ذلك بالحضور الفعال في البحر الأبيض المتوسط بأسطولها البحري العسكري، فمن هنا زادت حمى تسابق الدول الأوروبية في ضمها إلى مستعمراتها.

ومن بين هذه الدول نجد فرنسا التي كانت من أكبر الدول إلحاحا وأشدها عداءا للجزائر، وجعلت منها حلما يجب أن تحققه وتحصل عليها بأي ثمن، ولتكريس هذه الأطماع وتجسيدها على أرض الواقع، وضعت هذه الأخيرة جملة من المشاريع والمخططات لاحتلال الجزائر منها:

- أول **مشروع في لدوكورسي (Dekercy)** الذي قدم مشروعين (1782-1791م) الأول كان في عهد لويس السادس عشر والثاني في عهد نابليون بونبارت، وتم التطرق إلى مشروع **لوماي(François Philip Nage)** 1800م ومشروع **ديبوا تانفيل(Charges – Francois dubois- thainville)**:1801م فهذا جاء تحت عنوان المشاريع الفرنسية من سنة 1782م إلى 1801م، كما نجد **مشروع جون بون سانت أندري(Jaen bonsaint-andré 1802)** 1802م **ومشروع تيدنا(Thedenat) 1802م، ومشروع هولان(Peirre Hulin)** و **بيرج(Berge)** وهذه المشاريع في سنة 1802م، وتم التطرق إلى المشاريع فترة 1808م-1809م وهي **مشروع بوتان (Vincent Yves Boutin) 1808م ومشروع ديبوا تانفيل الثاني 1809م** في عهد شارل العاشر، وفيه تم الحديث عن مشروع 8 جوان 1827م مجهول صاحبه **ومشروع كليرمنتونير (Marquis de clerment-tonnerre)** 1827م **ومشروع باربي دوبوكاج ولوفيردو(Jean-senis Barbie du Bacage) ومشروع ليني دوفيلفيك(Jacques Laine devillevéque Gabriel) كولي ومشروع دوبوتي تووار (Abl Aubert dupetit Thouars) وشابرول (Le conte Chabvol Krouzol) وبيار دوفال (Peirre Deval)** وهذه المشاريع كانت في سنة 1827م لنصل إلى المشاريع الفرنسية من سنة 1828م الى1829م **وفيها مشروع دي لافروني 1828(de la Ferronys) م ومشروع اللجنة العسكرية 1828م ومشروع محمد علي 1829م ومشروع دولابرونتير(de**

la Bretonniere) و هو ختام المشاريع في هذا العهد أما الثمرة التي جنيت من المشاريع الفرنسية فكانت الحملة الفرنسية سنة 1830م لتنتهي بسقوط الجزائر .

لتجد بعدها الفرصة الملائمة لتنفيذ مشروع احتلالها وذلك عند ضعف إيالة الجزائر مع أواخر القرن 18م، فاختارت مشروع الجاسوس بوتان لتنفيذه على أرض الواقع وسيرت به الحملة نحو الجزائر لغزوها سنة 1830م.

تعددت المشاريع الفرنسية لاحتلال الجزائر السابقة منها أو اللاحقة لمشروع بوتان، إلا أن هذا الأخير " مشروع بوتان " انفرد عن غيره في الشكل والمضمون الأمر الذي جعل منه المشروع المعتمد بشكل شبه كلي من قبل السلطات الفرنسية لاحتلال الجزائر، ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى شخصية بوتان ومساره المهني (السياسي، العسكري والديبلوماسي...).

ومن هنا نسلط الضوء على مشروع بوتان الذي يعتبر من أهم المشاريع التجسسية، التي صُممت للتحري على ايالة الجزائر خلال القرن 19م إذا ما قورن بالمشاريع التي سبقته، بسبب المعلومات الوفيرة التي قدمها علما أن صاحبه انفرد لمميزات تفوق بها في مجال الجوسسة وجمع المعلومات، حيث انتهى بتقرير يحمل عنوان " الاستعمار "[1].

و هذا ما يوضح الأهداف و النوايا المبيتة لدى الجهات الفرنسية التي كلفته بهذه المهمة فقد كان مصدره وزارة الحربية الفرنسية بفنسان[2]، واحتوى هذا التقرير على ورقة مكتوبة بكل وضوح ورسم تخطيطي[3].

[1] –الغالي الغربي،العدوان الفرنسي على الجزائر الخلفيات والأبعاد، منشورات المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، 2007م، ص75.

[2]–فريد بنور،المخططات الفرنسية باتجاه الجزائر 1792–1830م،مؤسسة كوشكار، الجزائر،2007م، ص401.

[3]–أنظر الملحق رقم 01، ص82.

لقد أكد بوتان في مقدمة تقريره على نقطتين أساسيتين أوليتين تستدعيان الاهتمام بهما هما:

اختيار المكان اللائق لإنزال القوات قرب العاصمة وكذا عدّة الجيش الذي سيقابله الجيش الفرنسي[1].

أولا: نقطة الإنزال اقترحها " بوتان " أن تكون في سيدي فرج وألح عليها في تقريره، بعد أن بين مساوئ الإنزال عند العاصمة مستشهدا بالحملات التي قام بها الأسبان وفشلت، أما ناحية الغرب فهي منطقة خالية من أي حصن[2].

حسب بوتان هي عبارة عن أرض صغيرة داخلة في البحر، قريبة إلى مدينة الجزائر وبعيدة بمسافة ألف ومائة متر عن سطح البحر، مغطاة بالرمال، يتراوح عرضها ما بين ستمائة إلى ثمانمائة متر، فإذا وقع النزول في تلك المنطقة للسفن فإن مساحة المكان تسمح بالتمركز فيها فيما يقارب يألف متر، وبالتالي فهي منطقة منعزلة عن اليابسة والتي يمكن لها أن تكون مستودعا للأسلحة[3]، أما النقطة الثانية التي اعتبرها أساسية أن الجزائر لا تستطيع أن تجمع أكثر من ستين ألف جندي كما اقترح لنجاح الحملة إشعال حرب بين الجزائر و تونس[4].

كما نوه بوتان إلى العديد من المعطيات التي يجب أن يكون جيش الحملة على علم بها، سنذكرها على النحو التالي:

أولا: فيما يخص المساحة الجغرافية، فقد أشار إلى شساعتها في قوله " إن حتى سكان الإيالة لا يعرفون شيئا عن الصحراء، وكذا حدودها جغرافيا، ووصفها بالمملكة، ويقول أنها

---

[1]–حنيفي هلالي، العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الايالة 1815–1830م،ط1، دار الهدى ،الجزائر،2007م،ص74.

[2]– بوضرساية بوعزة، الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية في الجزائر خلال القرن 19م، منشورات المركز الوطني والدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م، ص 40.

[3]– محمود باشا محمد، ذريعة المروحة1827م، أو الاستيلاء على مدينة الجزائر، تر: عزيز نعمان، دار الأمل، الجزائر، 2010م، ص55.

[4]– جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619م – 1830م، دط، منشورات وزارة المجاهدين، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص 202.

تمتد على طول البحر الأبيض المتوسط من واد زيان إلى واد ملوية شرقا منطقة الكاف وطبرقة وغربا تاوونت وندرومة وجنوبا الصحراء[1].

كما تطرق إلى ذكر أقاليمها من بايليك قسنطينة، بايليك الجزائر، بايليك التيطري، بايلك وهران، وطريقة حكم كل بايلك وكذا الفئات السكانية المتواجدة من عرب وقبائل وعلاقتهم بالسلطة، وذكر أهم العملات المتعامل بها في ذلك الوقت (السلطاني، النصف سلطاني، الربع السلطاني)[2].

ثانيا: المؤونة :وهي أهم شيء يجب على الجيش معرفته هو كيفية الحصول على المواد الأولية أثناء الحملة.

ثالثا: دعا بوتان على ضرورة التعامل مع فئة اليهود[3]،الذي اعتبرهم الوسيلة الأنجح لضمان تموين القوات الفرنسية في الجزائر وكذلك ضرورة التعامل الحسن مع الأهالي خاصة الفئة المتمردة في الجبال " البربر " من أجل ضمان حسن نية الفرنسيين، ويعتبر وقوف بوتان إلى جانب البربر لم يكن موقفا عشوائيا، إنما يدخل ضمن الخطة المستقبلية بالنسبة للسياسة الفرنسية في الجزائر[4].

كما اقترح أن يتراوح عدد قوات الحملة العسكرية على الجزائر ما بين 35 و 40 ألف عسكري[5].

---

[1]– فريد بنور، المخططات الفرنسية باتجاه الجزائر1792–1830م، المرجع السابق، ص459.

[2]– تسعديت عزيل، وزنة قاسي، مشروع بوتان ودوره في الاحتلال الفرنسي للجزائر، 1808– 1830م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، جامعة آكلي محند أولجاج – البويرة – ، 1439– 1440هـ، 2018– 2019م، ص47.

[3]– زهرة محجوبي،المخططات العسكرية الفرنسية الاحتلال الجزائر1741–1830م،مجلة " الدراسات التاريخية العسكرية" ،العدد1،الجزائر،2020م، ص92.

[4]– تسعديت عزيل، المرجع السابق، ص48.

[5]– بوعزة بوضرساية، الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية في الجزائر خلال القرن 19م، المرجع السابق، ص 28.

وقد أكد بوتان على أن الطريق الذي يسلكه الجيش الفرنسي هو الممتد من سيدي فرج إلى قلعة مولاي حسن و هو من أحسن الطرق باستثناء طريق قسنطينة الذي لا يستطيع الجيش الفرنسي أن يستفيد منه.

كما أورد الأخطار التي قد تتعرض لها الحملة من البحر[1] و نصح بدلا من ذلك أن تكون الحملة برية و بالاستيلاء على قلعة مولاي حسن لأنها تشرف على المدينة و أفضل وقت للحملة هو من شهر ماي إلى شهر جوان و أن مدة الحملة لا تتجاوز شهرا[2].

بالإضافة إلى ذلك قدم جملة من النصائح للجيش الفرنسي في حالة انتصاره أول شيء هو إقامة شرطة صارمة و في نفس الوقت عادلة اتجاه السكان و باحترام المساجد و النساء والأحواش، مؤكدا بأن "ظلم أي شخص يسبب مصائب كبيرة" أما في داخل الجزائر وخاصة في الجنوب فقد نصح بإقناع الجزائريين ليتقبلوا بالوجود الفرنسي و بعدم استعمال قوة السلاح إلا للضرورة القصوى، ويختتم بوتان تقريره مقدار المسافات التي تفصل مدينة الجزائر، وأهم المدن الأخرى، والتي سيحتاج الجيش في توسعاته داخل البلاد[3].

بعد مكوث بوتان في الجزائر من 24 ماي إلى 17 يوليو 1808م وبعد جمعه معلومات، وضع كثيرا من اللوحات و الخرائط العسكرية، وفي طريق عودته أسرته سفينة بريطانية و ذهبت به إلى مالطة و لكنه أفلت و اتجه إلى أزمير فالقسطنطينية، فباريس حيث أعاد كتابة تقريره و أرفقه بأطلس جغرافي حوالي 15 لوحة و خريطة[4].

---

[1]– هذا الخطر يتمثل في الإمدادات و التعزيزات العسكرية التي يمكن أن تصل للجزائر من بايات المقاطعات الثلاثة (قسنطينة، وهران، تيطري). أنظر بنور فريد، المخططات الفرنسية باتجاه الجزائر1792–1830م، المرجع السابق، ص 418.

[2]– أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، ط2. الجزائر، الشركة الوطنية، 1982م، ص21.

[3]– فريد بنور، المخططات الفرنسية باتجاه الجزائر1792–1830م، المرجع السابق، ص ص 457. 463. 465.

[4]– يحي بوعزيز، موجز تاريخ الجزائر القديمة و الوسيطة و الحديثة، ج2، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م، ص 92.

مما سبق يمكن القول أن مشروع الجاسوس الفرنسي بوتان هو المخطط الأساسي والنهائي الذي اعتُمد لتسيير الحملة ضد الجزائر وذلك رغم وجود تقارير أحدث منه، حيث تم تجسيد كل تعليماته على أرض الواقع لحنكته العسكرية المحضة، إلا أن القائد العام للحملة الكونت دوبرمون(deBourmont) ارتكب خطئ أثناء الإنزال بسيدي فرج بإنزاله للجنود قبل العتاد، كما واجه صعوبة في تحطيم حصن مولاي حسن وأبراج الترسانة الجزائرية وغيرها من الأحداث التي كانت في صالح الجيش الجزائري لو قام باستغلال الفرصة.

المبحث الأول

الأمير عبد القادر والدولة الحديثة

المطلب الأول: نشأة الأمير عبد القادر وبداية المقاومة

المطلب الثاني: التنظيم الإداري لدولة الأمير عبد القادر

المطلب الثالث: معاهدة ديمشال 1834م والتافنة 1837م

تمهيد:

للتعرف على شخصية الأمير عبد القادر لا بد لنا من الإطلاع أولا على نسبه الشريف، الذي كان عاملا مهما في نشأته، وفي تكوين شخصيته وثقافته، وقد ساعد على تأهيله حقا لمنصب الإمارة والحكم بعد ذلك.

إن هذا النسب بالذات جعله محل احترام الآخرين، ومحل ثقة الأغلبية الساحقة كما أكسبه الشرعية أيضا بالتفاعل مع العوامل الأخرى، فحصل ذلك التفاعل الإيجابي، في بناء شخصيته المتدينة والفاعلة ،والمستقلة والمجتهدة علاوة الصبغة الصوفية التي نزع إليها والمعاملة الإنسانية التي طبعته بقوة وعمق.

المطلب الأول: نشأة الأمير عبد القادر وبداية المقاومة

أ-نسبه ومولده:

يعود نسب الأمير عبد القادر إلى الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)[1]، وقد " كانت أسرته تعتز بامتداد حلقاتها حتى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه،وتبدأ عند مؤرخيه بالسيد الحاج عبد القادر بن محي الدين بن المصطفى[2]." "بن محمد بن أحمد بن المختار بن عبد القادر، بن أحمد المختار بن عبد القادر المعروف بابن خدة، بن أحمد القديم بن عبد القادر بن محمد بن عبد القوي بن عبد الرزاق بن الغوث الرباني

[1]- محمد العربي الزبيري،الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،والمؤسسة الوطنية للطباعة،الجزائر،1982م،ص12.

[2]- أحمد رويش،في صحبة الأميرين.أبي فراس الحمداني ، وعبد القادر الجزائري ،ط1،مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطيين للإبداع الشعري،الكويت،2000م،ص145.

سيدنا عبد القادر الجيلاني[1] بن صالح بن موسى بن عبد الله بن يحي الزاهد بن الإمام موسى الجوني بان الإمام عبد الله المحض بن الإمام الحسن المثنى بن الإمام الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب[2]وزوجه فاطمة الزهراء"رضي الله عنهما" بنت سيد الوجود صلّ الله عليه وسلم[3].

ولد في 23 رجب عام1220هـ/آذار1807م، في قرية واد الحمام وبها ترعرع وأخذ منها مناهل العلم والثقافة والأدب[4]. وفي عام 1821م انتقل إلى وهران مع والده الذي وضعته الحكومة التركية تحت الإقامة الجبرية نظرا لدوره الواسع في إثارة حماس الجزائريين واستطاع الأمير عبد القادر أن يضيف إلى ثقافته الأولى معارف أخرى من علماءها واستطاع أن يصل إلى حقيقة هامة يشاركه فيها والده أيضا هي ضعف النظام التركي "السياسي و العسكري" مع اتساع استغلالهم للطبقات الشعبية الكادحة[5].

وبعد أن أتم دراسته في معسكر وفي وهران زار المشرق العربي واستقر حيّنا من الزمن في القاهرة ودمشق وبغداد والسعودية ثم أقام بأداء فريضة الحج رفقة والده عام 1825م.

---

[1]– الشيخ أبو صالح عبد القادر الجيلاني(470–562هـ/1078–1167م):ولد في جيلان بجبال كركوك شمال العراق استوطن بغداد واعتكف على الدراسة والتعلم وتضلع في الفقه الحنبلي، وألف عددا من الكتب في الفصول والفروع والأدعية وفي التوسل إلى الله ، مال إلى حياة الزهد والتصوف ومال إلى طريقتيه الصوفية القادرية بعد أن كثر أتباعه وانتشر بسرعة في بلدان المغرب العربي. أنظر كذلك يحي بوعزيز ،الطريقة القادرية والأمير عبد القادر، في مجلة مسالك،الجزائر، تصدر عن مؤسسة الأمير عبد القادر،عدد03، 1998م، ص21.

[2]– الأمير عبد القادر الجزائري ،مذكرات الأمير عبد القادر. تح: محمد صغير بناني و محمود سماتي ومحمد صالح الجون، ط2، دار الأمة الجزائر ،1998م، ص44.

[3]– الأميرة بديعة الحسن الجزائر،ناصر الدين الأمير عبد القادر الجزائري بن محي الدين سيرته المجيدة في حقبة من تاريخ الجزائر، ط2، مطبعة السلام، دمشق،1992م، ص32.

[4]– هنري كلود، الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي ، تر محمد العنابي، مكتبة المعارف ،مصر ،دت، ص136.

[5]– يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1983م، ص12.

ب- **المبـــايعـــة:**

في البداية وللظروف الصعبة التي كان يعاني منها الشعب الجزائري وأمام هول وجرائم الاستعمار الفرنسي الصليبي في أرض الإسلام والمسلمين اتجهت الأنظار إلى محي الدين والد الأمير عبد القادر[1].

وهنا اختاره العلماء والأعيان لتحمل مسؤولية الجهاد لإنقاذ البلاد التي احتلها الاستعمار الفرنسي الصليبي الغادر وقتل أحرارها الذين عارضوه في احتلاله، وبعد أن بدأت أطماع الاستعمار الفرنسي في التوسع والاستيطان تظهر في الميدان، بدت الرغبة في الجهاد بين الجزائريين، الذين توجهوا جميعا إلى محي الدين غير أنه سنه وقوته أصبحتا غير كافية لإنجاز مهمة الجهاد وما يصبوا إليه الشعب الجزائري من انتصار على الطغيان والظلم والاستعمار[2].وأسند الراية إلى ولده عبد القادر الجزائري حيث رأى فيه النجابة والهدى والحماسة والعز والشجاعة، واصطفاه عن بقية أولاده، كونه سأله بعد أن اقترحه زعماء اغريس[3] قائلا:كيف ستحكم بالعدل والحق بين الناس عندما تصبح زعيمهم؟. فأجابه عبد القادر "سأحمل عصا من حديد وكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فابتسم الوالد واطمأن"[4] وأيضا لبروز براعته العسكرية في معركة خنق النطاح إذ أبهرت خطته العسكرية داخل المعركة كل من شاهدوه،فمنه اقترح أبوه على القبائل أن يختاروه قائدا فقبلوا إمارته وعقدوا له"البيعة الأولى بتاريخ 27 نوفمبر1832م تحت شجرة الدرداء التى تقع " بواد

---

[1]– منور العربي، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، دار المعرفة، وزارة الثقافة، الجزائر، 2006م، ص 133.

[2]– منور العربي، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص 134.

[3]–من أفضل قادة عبد القادر ومساعديه، نصبه قاضيا على قبيلة فليتة وأطلق يده في رعاية شؤون السكان وسرعان ما التحق بالفرنسيين سنة 1825م. أنظر: محمد علاق،الأمير عبد القادر في كتابات العسكريين والفرنسيين،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر:قسم التاريخ ،جامعة الجزائر2011،2-2012، ص21.

[4]–الحسني الجزائري،الأميرة بديعة، ناصر الدين الأمير عبد القادر بن محي الدين سيرته المجيدة في حقبة مت تاريخ الجزائر.ط2، دمشق،مطبعة السلام،1992،ص37.

فروحة "اجتمع العلماء ووجوه البلاد من زعماء قبائل اغريس وغيرها في منطقة معسكر ، فقام أحد العلماء وخطب في الناس قائلا: إننا في حاجة لمن يقود سفينتنا ويقف في وجه العدو في الداخل والخارج ليذيقه العذاب، لهذا فان الخاص والعام قد اتفقوا أن يسندوا الإمارة لعبد القادر بن محي الدين[1] فانفجرت حماسة الناس وصاحوا بصوت واحد " الحياة والنصر لسلطاننا عبد القادر[2]".ومن هنا وقعت البيعة على عبد القادر قائمة عن السمع والطاعة وعلى بذل أنفسهم وأولادهم في سبيل إعلاء كلمة الله والإسلام والوطن ولم يكن عمر الأمير يزيد عن 24سنة[3].

ولقبه والده " ناصر الدين "واقترحوا عليه أن يكون "سلطان "ولكنه اختار لقب " الأمير "وبذلك خرج إلى الوجود "الأمير عبد القادر ناصر الدين بن محي الدين الحسني ".[4]

ب/البيـعة العــامة:

لما ذاع خبر البيعة الأولى بادر أعيان[5] ووجهاء ورؤساء القبائل التي لم تبايع إلى المبايعة فتمت في مسجد بمعسكر يسمى حاليا بـ مسجد *سيدي الحسان* أي بعد حوالي ثلاثة شهور من البيعة الأولى بتاريخ 27 نوفمبر 1832م، وقعت" البيعة الثانية" أو" البيعة العامة" في قصر الإمارة بمعسكر13 رمضان1248هـ الموافق لـ 04 فيفري 1833م[6]، من طرف رؤساء القبائل إلى جانب العلماء والأعيان وعامة الشعب، وحررت وثيقة أخرى لهذه البيعة، وتولى كتابتها محمد بن حواء الجوهري [7].وأهم ما جاء فيها "هذا ولما انقرضت

---

[1]–الجزائري،مسعود مجاهد، تاريخ الجزائر ، ج1، دب،المكتبة الأردنية الهاشمية،1961، ص148.

[2]–العسلي بسام، الأمير عبد القادر الجزائري(1830–1954م)،ط2، دار النفائس ، بيروت، 1983، ص21.

[3]– دردار فتحي ،الأمير عبد القادر الجزائري بطل المقاومة الجزائرية(1832–1847م)دب، 2001م، ص33.

[4]–العسلي بسام، المرجع السابق، ص31.

[5]–أشرفهم وأفضهم على المثل، بشرف العين الحاسة، أنظر: ابن منظور لسان العرب، تص: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، ج2، ط3، بيروت: دار إحياء التراث العربي،1999م، ص948.

[6]–تشرشل شارل هنري، حياة الأمير عبد القادر، تر:أبو القاسم سعد الله ،الدار التونسية للنشر ، تونس ،1974م،ص62.

[7]–الأمير محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص165.

الحكومة الجزائرية من سائر المغرب الأوسط، واستولى العدو على مدينتي الجزائر ووهران، أعادها الله دار إيمان وإسلام بجاه النبي صل الله عليه وسلم... قام من فوقهم الله للهداية وظهرت عليهم العناية من رؤساء القبائل، وكبرائها، وصناديدها وزعماءها....

ولمّا فرغ من مراسيم البيعة ودع الأنصار بعد أن استقر الوضع، راح يولي كل اهتماماته لتشكيل حكومته واختار مدينة معسكر لإقامته تأنيسا لأهل غريس، تطيبا لنفوسهم ، لأنهم كانوا دعاة هذه الإمارة، وكانت منها حركته ونهضته[1].

ومن هنا استقر الأمر للأمير وأصبح الأمير الشرعي للبلد، حيث أن سلطته لم تكن عن طريق الوراثة أو التعيين وإنما عن طريق الانتخاب والشورى وهي بيعة عن رضا الأهالي، وبذلك تعتبر سلطة الأمير سلطة شرعية قانونية.

المطلب الثاني: التنظيم الإداري لدولة الأمير عبد القادر

كانت فترة السلام القصيرة التي عرفها الأمير في ظل معاهدة التافنة 1837م فرصة لتوليد دعائم الأمن والنظام في البلد ولتنظيم تحصيل الزكاة والضرائب وتوفير الموارد المالية الضرورية لقيام الدولة بمهامها[2].

ظهرت عبقرية الأمير عبد القادر الجزائري في بناء الدولة في عدة تجليات "العسكرية والسياسية وحتى على صعيد الصناعة والتجارة وبناء مؤسسات القضاء والتعليم والمؤسسات السيادية الكبرى".

واجه الأمير عبد القادر منذ بداية المقاومة ، تحديين رئيسيين هما: كبح جناح جيش العدو الذي كان قد فرض سيطرته على العديد من المناطق الساحلية على مستوى التراب الوطني،

[1]– محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص28.

[2]–عبد الأمير هويدي الحيدري،الأمير عبد القادر الجزائري ودوره السياسي والعسكري، مجلة جامعة بابل ، العلوم الإنسانية،المجلد 17،العدد2009،2م،ص 488.

أين كان يطلق حملاته الفتاكة على السكان المدنيين، وكذا إقامة دولة قادرة على السمو فوق سلطة القبائل، في سبيل تنظيم أكبر للكفاح.

قسم الأمير الإقليم الإداري إلى ثماني ولايات، كان الخليفة القائد السياسي والعسكري للولاية إلى جانب قائد أركانه، كان كل خليفة يتوفر على مجموعة من المسؤولين الذين كانوا يشكلون مجلسه التنفيذي[1].

استطاع الأمير عبد القادر أن يكون دولة جزائرية في ظل الأوضاع التالية بإقليم الغرب الجزائري حيث كانت عدة زعامات أهمها سلطة العريبي[2]، بالمنطقة المحاذية لمنطقة الشلف وابن نونة بتلمسان والقبائل الموالية للمخزن العثماني بزعامة مصطفى بن إسماعيل والمازاري والناحية الجنوبية بزعامة الغماري شيخ الأنجاد، وكان هدف الأمير من وراء هذا العمل تناسي الأحقاد وتضافر الجهود لمواجهة قوات الاحتلال الفرنسي وخطرهم على الدين والبلاد الجزائرية ويجب طردهم من البلاد[3].

أ_المجلس الاستشاري:

أنشا الأمير عبد القادر مجلسا للشورى بلغ عدد أفراده11عضوا يمثلون مناطق مختلفة[4]، وهم السادة:أحمد بن التهامي، عبد القادر بن ركوش، وعبد الله السقاط المشرقي، وطاهر المحفوضي، وأحمد بن الطاهر بن الشيخ المشرفي ومحمد بن المختار الورغي والمكي الخرنوبي والمختار بن المكي والحاج عبد القادر بن ركوش الأكبر وإبراهيم ابن

[1]– مصطفى خياطي، الطب والأطباء في دولة الأمير عبد القادر، تر: نبيلة حك، ص9.

[2]– سيدي العريبي: زعيم ولاد سيدي العريبي على بعد 1كلم من شلف، كانت سلطته معترف بها في سهل شلف من الأصنام حتى مصب الوادي بسهل مينة السفلى والجزء الساحلي من الظهرة، رفض الخضوع للأمير الذي حاربه في 1833م، أنظر: عبد القادر سلاماني، الإستراتيجية الفرنسية لإجهاض مشروع الدولة الجزائرية الحديثة 1832– 1847م، المرجع السابق، ص22.

[3]– نفسه، ص22.

[4]–يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري،ط2،دار الكتاب الجزائري ، الجزائر، 1964م،ص77.

القاضي،وهم نواب الدوة باتعيين والتصويت على أساس الإجماع بكل المقاطعة دار شورى للمفاوضة في الدعاوي المهمة التي تحدث بين الشعب وفي مصلحة الدولة.

فيما يتعلق بتشكيل النظارة أي الوزارة وتوزيع المناصب فكان على النحو التالي:

نظير الخارجية:الحاج بن ميلود بن عراش.

نظير الداخلية:محمد بن السيد العربي يساعده كاتبان هما أحمد بن علي بن أبي طالب والحاج مصطفى بن الهاشمي فكان هذا الوزير ينوب على الأمير في الكثير من المهام المدنية والعسكرية.

نظير الحربية:السيد محمد بن الجيلالي ومهمة هذه الوزارة هي ضرب النقود وصنع الأسلحة والذخيرة وما يتعلق بأدوات الحرب.

نظير المالية العامة: الحاج بن أبي عبد الله الحاج الجيلالي بن فريحة .

نظير الخزينة الخاصة: السيد أبو السعيد محمدبن فاخة.

نظير الأوقاف: أبي عبد الرحمان الحاج الطاهر أبو زيد.

نظير العشور والزكاة: أبي محمد الجيلالي العلاوي بن الهداية

الملبوس الأميري الحاج البخاري الرحاوي.

الفراشة:عبد القادر بن أبي معزة.

السقاية: البيدارلي بن شافعية[1].

[1]–حرب أديب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر (1808– 1847م)، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1983م،ص ص42–44.

حمل الشمسية (الراية):عبد الله بن أبي يوسف

رئاسة الموسيقى: أبو مديّن بن أبي دعس

رئاسة الاسطبل: محي الدين بن عبد الله[1]

هذه التسميات معظمها كانت شكلية متداولة خلال العهد العثماني أراد الأمير من خلالها تنظيم الدول من أجل المقاومة الوطنية .

ب-راية الدولة: كانت راية الدولة الجزائرية من الكتان الحريري، أعلاها وأسفلها خضروان أما لون القسم الأوسط أبيض، رسمت فيه يدّ مبسوطة وكتب حولها بشكل دائري عبارة :" نصر من الله فتح قريب،ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين " وقد عيّن بد الله بن يوسف لحملها[2].

ج_ المقاطعات الإدارية: وهي كالأتي[3]:

مقاطعة معسكر: الخليفة مصطفى بن أحمد التهامي، العاصمة معسكر.

مقاطعة تلمسان: الخليفة محمد البوحميدي الولهاصي، العاصمة تلمسان.

مقاطعة مليانة : الخليفة محي الدين بن علال القليعي، العاصمة مليانة.

مقاطعة تيطري: الخليفة محمد البركاني، العاصمة مدية.

مقاطعة مجانة: الخليفة محمد بن عبد السلام، العاصمة سطيف.

[1]-هاجرهروال، التنظيم المؤسساتي لدولة الأمير عبد القادر (1832-1847م)،مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المعاصر ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،قسم العلوم الانسانية ، جامعة محمد خيضر بسكرة ،2015-2016مص 81.

[2]- هنري تشرشل، المصدر السابق ص40.

[3]- أنظر الملحق رقم02، ص83.

مقاطعة برج حمزة: ولي عليها أحمد بن سالم الدبيسي[1]

مقاطعة الزيبان أو الصحراء الشرقية[2]: الخليفة فرحات بن سعيد، العاصمة بسكرة.

مقاطعة الصحراء الغربية: الخليفة قدور بن عبد الباقي، العاصمة بشار.

المطلب الثالث: معاهدة "دي ميشال 1834"و" التافنة 1837م"

بعد الانتصارات التي حققها الأمير عبد القادر في مواجهة قوات الاحتلال الفرنسي مما اضطر الجنرال دي ميشال حاكم وهران آنذاك أن يسلك طريق اللين والتفاوض،وبعقد معه صلحا[3] أعقبه بتوقيع هذه المعاهدة التي اعترفت فرنسا من خلالها بدولة الأمير عبد القادر، التي ضمت 06 بنود هامة حيث كانت بحوزته الوثيقة التي تحصل عليها من الأرشيف الفرنسي منوها بأن هذه المعاهدة كانت اعتراف رسمي بالدولة الجزائرية والسماح لرئيسها بتعيين القناصل في الدول الأجنبية[4]

من هنا تم اللقاء بين المبعوثين للأمير عبد القادر والسلطات الفرنسية خارج مدينة وهران في 24 فيفري 1834م وقام بن عراش بإطلاع الأمير عبد القادر على الشروط الفرنسية، وعاد إلى وهران في 25 فيفري 1834م، اتفق الجنرال دي ميشال قائد الجيوش الفرنسية والأمير عبد القادر على النقاط التالية:

---

[1]–عمار بوحوش،التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، دار الغرب الإسلامي بيروت ،1997م،ص109.

[2]–محمد مفلاح، غيليزان مقاومات وثورات 1800– 1914م،منشورات دار الأديب، دب ن، 2010م،ص 75.

[3]–مرسيل أميريت ، الجزائر في عهد الأمير عبد القادر،تر عبد الحميد بواريو وحميد بوحبيب، دار الرائد للكتاب، الجزائر،2014م ، ص70.

[4]–شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر وتع وتق أبو القاسم سعد الله،ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 2004،ص106.

1-إنهاء القتال بين الطرفين منذ هذا التاريخ 26 فيفري 1834م، على أن يبذل كل من الجنرال قائد الجيوش الفرنسية والأمير عبد القادر جهودهما على نشر السلم بين شعبين حكم الله عليها أن يعيشا تحت حكم احتلال واحد.

2-احترام العادات والدين الإسلامي.

3-تبادل الأسرى بين الطرفين[1].

4-حرية التجارة التامة.

5-يجلب العرب الجنود الفرنسيين الذين تخلوا عن القتال والعرب الفارين من عقاب مستحق من قبائلهم والباحثين عن ملجأ عند فرنسا لممثلي الأمير عبد القادر بالمدن الساحلية[2].

6-حرية التجوال من طرف الفرنسيين المدنيين بالأراضي الجزائرية وفق تذكرة توقع بطابع من قنصل الأمير عبد القادر بالمدن المذكورة وبالنسبة للجزائريين لهم حرية السفر بالمدن لمحتلة وفق تذكرة موقعة من الجنرال الفرنسي[3].

حررت في وهران في 17من شوال سنة 1249هـ الموافق ل28 فبراير1834م.

---

[1]عبد الحميد زوزو،مراسلات الأمير عبد القادر مع الجنرال دي ميشيل،وثائق خاصة بتاريخ الجزائر في عهد الأمير، ط5، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م-2013م،ص168.

[2]-الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر أخبار الجزائر،المصدر السابق،ص216.

[3]- سلاماني عبد القادر، الإستراتيجية الفرنسية لإجهاض مشروع الدولة الجزائرية الحديثة 1832- 1874م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2008- 2009م، ص54.

ب/معاهدة التافنة: 30ماي 1837م

تمت معاهدة التافنة بين الأمير عبد القادر والجنرال بيجو بمنطقة واد التافنة، في 30ماي 1837م، وتضمنت 15 بندا على وثيقة بتوقيع الأمير عبد القادر والجنرال بيجو من نسختين عربية وفرنسية ،ومن بين هذه البنود نذكر:

البند01:هو عبارة على اعتراف الأمير بسلطة فرنسا التي ذكرها بيجو لم تكن من إنشاء الأمير عبد القادر السيغة الفرنسية لا علاقة لها بالنص العربي يقول "أمير المؤمنين يعرف أن السلطان عظيم"،يقول النص الفرنسي للجنرال بيجو" يعترف بسلطة فرنسا " فأي سلطان يقصد؟ ...[1].

بعد مخاض عسير ونقاش مثمر مكنت أنصاره من انتزاع الضوء الأخضر للدخول في مفاوضات مضنية عسيرة وشاقة[2]، انتهت بمعاهدة التافنة التي يجمع عليها ساسة فرنسا ومثقفوها، بأن بنودها كانت كلها لصالحه، منها ديمرامون الذي يرى أنها أحطت من شرف فرنسا، وحققت لأمير فوائد سياسية هامة، منها حصوله على اتفاقية سرية تؤكد اعتراف فرنسا بدولته القومية.وذلك ما دفع بمعارضيه إلى لتشاؤم من بنودها، بخلاف أنصاره الذين اعتبروها فوزا عظيما لقضيتهم، مكنهم من تحير كل التراب الوطني، ماعدا الذي يقبع عليه الجيش الفرنسي، وما أسرهم كثيرا وأسعدهم عودة مدينة تلمسان إلى دولتهم فتنافسوا على تهنئة زعيمهم بهذا الفتح المبين، الذي أرخه الأمير في قصيدته الهائية التي مطلعها:

إلى الصّون مدّت تلمسان يداها ولبت فهذا حسن صوت نداها[3]

[1]- هنري تشرشل، المصدر السابق، ص57.

[2]–هنري تشرشل،المصدر السابق،ص57 –58.

[3]– الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر أخبار الجزائر،المصدر السابق،ص286.

أما عندّ أعدائه من الفرنسيين، فقد أحدثت زلزالا سياسيا،ونقاشا واسعا بين الساسة والمثقفين والقادة العسكريين، ولعل المعرب سولفي كان أكثرهم واقعية بحيث يرى أن توقيع بيجو على المعاهدة استسلاما لشروط غريمه الأمير يمنح له الضوء الأخضر للقضاء على حلفاء فرنسا في المنطقة، ويكرس له الشرعية والسيادة على المملكة القديمة ماعدا قسنطينة ، والمجال البحري الضيق من ناحية وهران والجزائر.

أما روسي فاكتفى بالقول: أنها أمام العالم والتاريخ في قفص المتحايل والمخادع، بخلاف الأمير الذي مكنته من اكتساب الأمير للعودة إلى الحرب[1].

[1]–مجهول المؤلف، التقليد والتجديد في شعر الأمير عبد القادر،كلية الآداب واللغا ت جامعة يوسف بن خدة الجزائر،2007–2008م،ص10–11.

المبحث الثاني

نشاط ليون روش في دولة الأمير عبد القادر (1837م-1839م)

المطلب الأول: ليون روش مولده ونشأته

المطلب الثاني: ليون روش في جيش الأمير عبد القادر(1837م-1839م)

المطلب الثالث: دور ليون روش في العلاقات الجزائرية المغربية (1845- 1845م)

من المعروف أن الحملات الاستعمارية الكبرى تجاه العالم الإسلامي كانت تسبقها حملات مركزة للجوسسة للتعرّف على المنطقة التي سيتم استعمارها، والمسند إليه هذه المهمة لديه خبرة واسعة بالأرضية التي سيتم استعمارها، وأكبر مثال على هذا الجاسوس "بوتان "Botin الذي أرسله نابليون بونابرت، والذي قام بدوره بتقديم دراسة دقيقة جدا عن الجزائر والتي على أساسها تم احتلال الجزائر. لكن بعد الغزو العسكري سرعان ما اكتشف المستعمرون أن هناك مساحات كبيرة لم يتمكنوا من غزوها. فاحتلال الشعوب يقتضي التعرف بدقة على جغرافيتهم النفسية وخريطة عقولهم. وهكذا بدأت المرحلة الثانية من حركة الجوسسة الاستعمارية وذلك بإرسال رجال ونساء إلى الشعوب حتى يتغلغلوا وينفذوا إلى أعماق النسيج الاجتماعي ويقدموا التقارير الدقيقة والوافية عن تجربتهم في الداخل. وستظل أسماء مثل ليون روش، لوس الليكس بارزة في مسيرة حافلة لهؤلاء الذين اخترقوا وتغلغلوا إلى أعماق المجتمع، فلم تكن التقارير العسكرية والأمنية كافية للسيطرة على هذه المجتمعات بل كان من الواجب النفاذ بعمق في ألياف الحياة الاجتماعية والدينية والتجوال في دروبها والدخول إلى عمق أعماقها.

ليون روش جاسوس ندبته الحكومة الفرنسية في بداية غزوها للجزائر ليكون جاسوسا على الأمير عبد القادر حامل لواء المقاومة والجهاد ضدها، وأوعزت إليه أن يتظاهر عنده بالإسلام، وأن يتوصل أن يكون موضع ثقته ومحل أمانته. ففعل ذلك ونجح، وأقام مع الأمير عبد القادر ما يقارب الثلاث سنوات، إذ كان يبعث بكل تفاصيل دولة الأمير إلى حكومته الفرنسية، ولم يكتفي بهذا فقط بل كان السبب في نشب الفتن بين الأمير والقبائل الأخرى، فكان هدف إضعاف قوة المسلمين وتشتيتها من حول الأمير عبد القادر. وعلى ضوء هذا الموضوع تتبادر إلى الذهن الأسئلة التالية: ما هو الهدف الحقيقي وراء تعلم ليون روش اللغة العربية واعتناقه للإسلام؟ وفيما تتمثل الأدوار الخطيرة التي مثلها إثر تقربه للأمير عبد القادر؟ وهل لتلك الأدوار تداعيات على جيش الأمير عبد القادر؟

هذه الأسئلة وأخرى سأحاول الإجابة عنها من خلال المبحث.

المطلب الأول: ليون روش مـولـده ونشأته

ولد ليون روش بفرنسا بمدينة "غرونوبل"Grenoble" في يوم 27 سبتمبر 1809م 1224هـ، بدأ مزاولة دراسته الثانوية في ثانوية غرونوبل وأكملها في ثانوية "طولون" Tournon"، أين سعفه الحظ لينال فيها شهادة البكالوريا وذلك سنة 1828م،وبعدها أكمل دراسته في تخصص الحقوق لمدة ستة أشهر في جامعة غرونوبل إلا أنّ طموحاته الواسعة وحبه للمغامرة لم يرضى أن يكون حبيس الدراسة، فانقطع عنها، ورحل إلى "مرسيليا" Marseille" بعد أن أرسلهُ أبوه للعمل هناك مع تاجر يعمل بين فرنسا وشرق أوروبا وهو صديق أبوه، كان قد زار العديد من دول جنوب شرق أوروبا وكان عمره آنذاك لا يتعدى 21سنة[1].

كان أبوه روش ألفونس(Roches Alphonse) مكلف بخدمات تموين جيش إفريقيا الذي نزل معه في الجزائر 1830[2]،وقد حصل بفضل الجيش على مائتين هكتار من أفضل الأراضي على مستوى متيجة، ليتفرغ للزراعة، فطلب من ابنه ليون أن يلتحق به ليساعده في عمله الزراعي في 1832م[3]، لبى روش رغبة أبيه للحضور بجانبه ووصل في 30جوان 1832م[4]، واستقر في منزل أبيه في منطقة إبراهيم رايس "يقول يوسف مناصرية أنه هو دالي إبراهيم الواقع حاليا بدائرة شراقة ولاية الجزائر العاصمة التي تبعد تقريبا ستة

---

[1] –أنظر، يوسف مناصرية،مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832–1847م ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،1990،ص13، مصطفى خياطي،علاقات الأمير عبد القادر مع اليهود1832م–1847م، منشورات ANEP،2013،ص190؛أبو القاسم سعد الله ،بحوث في تاريخ الغربي الإسلامي، دار الغرب الإسلامي،بيروت،2003م/1424هـ،ص322–323؛خير الدين الزركلي،شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز،دار العلم للملايين،بيروت ،1985م،ص526 ؛جيدل عبد العزيز،نماذج عن الجوسسة الفرنسية في الجزائر في القرن 19م نماذج "ليون روش،لوس ألكس،أوريلي بيكار،أزابيل ايبر هارد"مذكرة لنيل شهادة ليسانس،جامعة الجزائر،2008–2009م،ص13.

[2] -L'eon،Roches،Trente doux ans a travers l'islam، T1et2،Paris،1884-1885،T.I ، PP 7-9.

[3] –مصطفى خياطي ، المرجع السابق، ص191.

[4] –مذكرات ليون روش، **اثنتان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام**،نقلها للعربية وقدم لها وعلق عليها محمد خير محمود الباقي ،الجداول للنشر والتوزيع،ط1،ديسمبر 2011م ، ص13.

كيلومترات على مدينة الجزائر، لكي يساعد ليون والده في خدمة المزرعة كأجراء[1]، إن اختلاطه مع الجزائرية كان من بين الأسباب التي دفعته إلى تعلم اللغة العربية ، وهذا يعني أن هناك أسباب أخرى ، في الحقيقة هم الدافع الرئيسي الذين دفعوا بروش إلى تعلم لغتنا، مما فتحت له باب الرزق حسب قوله،من خلال ممارسة لمهمة الجوسسة والتي كان لها دور للأسف فعال في تشتيت قوة المسلمين وتدميرهم[2]. وقد انسجم ليون روش نسبيا مع البلد وقد تعرف على أرملة المسئول السابق على البحرية في وقت الأتراك(وكيل الحرج[3]) التي كانت ملكيتها تجاور ملكية أبيه، وكانت تتكفل بربيبتها التي كانت أمها جيوريجية وكانت تسمى خديجة وقد وقع ليون في غرامها ما جعله يكثر الزيارات إلى جارته لأجل ملاقاتها[4] هذا بالنسبة لإيصال روش بالأهالي، أما اتصالاته بالأوروبيين فإنه كان يمضي معظم وقته من نوفمبر1832م/1248هـ إلى أوت1833م/1249هـ في الخروج إلى الصيد مع عدد من الضباط الفرنسيين،أدى به هذا الاحتكاك إلى التعرف على بعض ضباط البحرية أيضا[5] .

وحسب ليون روش، فقد اشتدت رغبته أكثر من تعلم اللغة العربية عندما تعرف على رئيس مجلس القضاء الجزائر آنذاك،فدعاه هذا الأخير إلى تناول وجبة الغداء معه فخرج روش من عنه متحمس لتعلم العربية لهدفين أساسيين بالنسبة له، الأول:التمكن من مساعدة أبيه في الاتصال بأجزائه في المزرعة، والثاني: لتحاور مع عشيقته خديجة[6].

---

[1]–يوسف مناصرية ، المرجع السابق ،ص14.

[2]-Roches.op.cit، T.I. pp15-16

[3]–ربما اختلط الأمر على"روش"ما بين وكيل الحرج والأغا ولذلك اعتقد أنه يقصد إبراهيم 1829–1830م، صهر الداي حسين آخر دايات الجزائر 1818–1830م،عينه الداي خلف يحي آغا الذي شغل منصب الأغا مدة 12سنة ونفاه الداي بتهمة تدبير للاستيلاء على الحكم، وكان إبراهيم أغا ضعيفا لا يعرف خداع الحرب ففشل أمام القوات الفرنسية بقيادة " ديبرمون"في معركتي سيدي فرج وسطوالي سنة1830منفعزله الداي حسين وعين مكانه بايت يطري (منصب الآغا يعادل منصب رئيس القوات المسلحة)أنظر: حمدان بن عثمان خوجة، المرآة،تعريب العربي الزبيري، الجزائر 1975م،ص183–199.

[4]–مصطفى خياطي، المرجع السابق،ص191.

[5] -Roches، op، cit، T.I.pp16-20.

[6]–يوسف مناصرية ، المرجع السابق،ص15.

ولهذا السبب دلته جارته نفيسة على معلما ربيا وهو بن باسي عبد الرزاق وفي أقل من ثمانية أشهر استطاع أن يتكلم مع أستاذه باللغة العربية[1]، لم يكتفي ليون بدروس أستاذه فقط ،بل راح يمرن لسانه في المقاهي الشعبية، وحضور الجلسات قضاء المسلمين[2]والخروج مع الفلاحين بإرادة أبيه إلى الصيد ويحاور معهم باللغة العربية[3]،فكل هذه الطرق جعلت لسان روش ينطلق بسرعة ،فصار يتكلم لغة الأهالي ويفهمها جيداً مما جعلته يربط معهم علاقات قوية ،لقد سعى ليون روش في هذا بكل الوسائل لكي يتعلم اللغة العربية، فقد أدرك أنها ستفتح له أبواب لم يكن يتوقعها،إذ بفضلها –كما يزعم–استطاع أن يدخل بين صفوف المسلمين ليفتت شملهم، لقد منحت زيارة اللجنة الإفريقية لمدينة الجزائر[4] ليون فرصة كبيرة، فبدعم من أبيه كُلف بخدمة الترجمة للجنة وعين كمترجم محلف[5]، كان دوره مهما لأنه في ذلك الوقت القانون كان يلزم وجود مترجم للمصادقة على أي مرسوم، اتفاقية،أو عقد يبرم بين عربي وأجنبي[6]. لم يكن في ذلك الوقت سوى أربعة مترجمين في الجيش الأفريقي كاملا، في 1832ماستدعى الفرنسيين قنصلهم في طنجة السيد دي لابورت المعيين كرئيس المترجمين في الجيش، لاحظ حينها أنه أغلبية المترجمين جهلة لا يعرفون القراءة ولا الكتابة. كل هذه المعطيات سهلت أن يعيّن ليون روش المترجم الرئيسي في جيش إفريقيا[7] من طرف

---

[1]– يوسف مناصرية ، المرجع السابق،،ص ص15–16

[2]– مذكرة ليون روش ،المصدر السابق ،ص13.

[3]–يوسف مناصرية ،المرجع السابق،ص15.

[4]–وصلت اللجنة الإفريقية الأولى إلى الجزائر في 2 سبتمبر1833م/1249هـ وكان هدفها هو جمع المعلومات التي تنير الحكومة الفرنسية على حالة الجزائر الحاضرة وعن مستقبلها وبالإضافة إلى الوفود المدنية والعسكرية في الجزائر والكولون وغيرهم،استقبلت اللجنة وفود أعيان العرب الحضريين لتوضح لهم مهمتها.وكان رئيسها هو الجنرال بوني(Bonnet)،وكاتبها هو السيد (Piscatory)،النائب في البرلمان.وكان سيد لورانس مكلفا بالإدارة والتشريع والقضاء.وأصبح ،بعد ذلك،نائبا في البرلمان الفرنسي. أنظر:أبو القاسم سعد الله،محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال،الطبعة الثانية،القاهرة،1976ص97.

[5]–جيدل عبد العزيز ،المرجع السابق،ص16.

[6]–مصطفى خياطي،المرجع السابق،ص192.

[7]-L’éon .Roches. Dix ansa travere l’islam (1834-1844) préface de mcarraby .paris.1904 pp50-51.

الماريشال كلوزال في 1835م/1251هـ[1]هذا الأخير أخذه معه في حملته على المدية 1836م/1252هـ، بصفته تُرجمانا عسكريا محلفاً[2].

وقد تعرض الجيش الفرنسي على مستوى كهوف موزاية لهجوم جيش الأمير، وقد وجد الكثير من الصعوبات أبيدت صفوف جيش الأهالي التي كان يقودها النقيب جاستي " Gastu " وقد خرج هذا الأخير ووقع أرضاً،فأمر كلوزال الذي كان يراقب المشهد الضباط الذين كانوا يحيطونه بأن ينقذون جاستي. فانطلق ليون روش بحصانه أخذ الجريح على مركبته وعاد به إلى غاية الماريشال ، الأمر الذي أثار إعجاب القائد العام للجيش[3].

أمر الماريشال كلوزيل ليون روش أن يصطحب الجنرال ديميشال"Des Michals"إلى مدينة المدية كترجمان عسكري محلف، فامتثل لأوامره،ودخلوا المدية ولم يباشروا أيه معركة ضد الأهالي ، فالتقى روش بأحد أصدقائه الجزائريين ، قد عرفه في الجزائر عند محمد بن عمر باشا، وكان يدعى سيدي محمد قايد البويرة،فدعاه هذا الأخير لتناول العشاء معه، استأذن روش الجنرال في ذلك فوافق هذا الأخير بشرط أن يستعلم عن محمد بن حسين الذي أراد الدوق تعيينه بايا على المدية[4]. ولما عاد ليون روش إلى الجنرال " ديميشال " أخبره أن فكرة تنصيب محمد بن حسين على المدية لا تخدم مصالح فرنسا ... ومن هنا يثبت لدينا أن ليون روش كان قد مارس الجوسسة قبل التحاقه بجيش الأمير عبد القادر وبالتحديد في شهر نوفمبر 1837م[5].

---

[1]–مصطفى خياطي،المرجع السابق،ص192؛وأيضا يوسف مناصرية،المرجع السابق،ص17.

[2]–يقول السيد فيرو أن الماريشال هو الذي طلب من روش أن يصحبه في هذه الحملة مع أن روش نفسه يؤكد العكس،ويقول أن حملة كانت هامة جدا بالنسبة له ،لعله يسمع عن أخبار خديجة.ولكن الأرجح هو قول السيد فيرو وذلك لضرورة وجود تّرجمان قادر على شرح أقوال الأهالي للمرشال خاصة عند تعيين الباي،أنظر :يوسف مناصرية،المرجع السابق،ص71.

[3]–مصطفى خياطي ،المرجع السابق،ص192.

[4]–يوسف مناصرية ،المرجع السابق،ص18.

[5]– نفسه، ص ص18–19.

المطلب الثاني: ليون روش في جيش الأمير عبد القادر(1837-1839)

أ- التحاقه بالأمير عبد القادر تحت قناع الإسلام بهدف الجوسسة:

بعد سبع سنوات من الحرب الشرسة ضد الأمير عبد القادر ، يجب على السلطات الفرنسية أن تسعى جاهدة لإحلال السلام في وسط وغرب الجزائر، وتركيز وتعزيز قواتها العسكرية في شرق الجزائر للقضاء على عار الهزيمة الأول في معركة قسنطينة بسبب فشل الجيش الفرنسي في اختراق البلاد، وزيادة الخسائر المادية والأفراد ، واضطراب الحكومة الفرنسية،والخوف من تصاعد الأزمة في مجلس النواب، بدأ كبار العسكريين في إعداد حملة ثانية على قسنطينة[1]، لذلك قررت الحكومة الفرنسية إرسال الجنرال بيجو إلى الجزائر للتفاوض مع الأمير وتزويده بشروط السلام التي أعطته كل القوة لتحقيق هذا الهدف، وجمع كلمة المسلمين وتنظيم شؤون الدولة العسكرية والإدارية والمالية، وإقامة علاقاتها الخارجية لجلب السلاح والذخيرة[2]. بدأت المفاوضات في أوائل عام 1937م_1253هـ.

وتوصل ممثلو الأمير والجنرال بيجو إلى اتفاقية السلم، وتشكلت الحكومة في 30 مايو1837م. وتسمى "معاهدة التافنة" وتضم 15 مادة معظمها يؤيد الأمير، ومن بين موادها المادة الرابعة نصت على أنه يجوز للمسلمين العيش أينما يريدون،ولهم الحرية المطلقة، يمكنك الانتقال من دولة الأمير إلى مكان يحتله الفرنسيون، ويمكنك الانتقال من فرنسا إلى ولاية الأمير. في ذلك الوقت قرر روش الانضمام إلى جيش الأمير وفقًا لهذا البند وأثبت موقفه بحجة نيته في اعتناق الإسلام[3]. وقال روش أنه قرر الانضمام إلى الأمير من أجل التواصل مع عشيقته خديجة،وكان يعلم أن زوجها استقر معها في مدينة مليانة تحت حكم الأمير ، ولكن إذا كان فعلا يريد الاتصال بخليلته كما زعم ،فلماذا لم يقتصر الطريق ويلتحق بصديقه عمر باشا وأخيه محمد اللذين يقيمان في مليانة ،ومن هناك ينظم اتصالاته. لذلك يمكنه أن يتجنب كل المخاطر والصعوبات

---

[1] HENRI ،ideville، le marchal Bugeaud d'après sa correspondance intime et desdocuments inédits(1784-1849) ،T.2، paris، 1882، pp.55-71.

[2]- يوسف مناصرية،المرجع السابق ،ص23 .

[3]- نفسه، ص ص 23 24.

والمخاطر التي قد تنجم عن انضمامه إلى الأمير[1] ،ولكن إذا صدقنا تصريحه بأنه سيعمل مع الأمير على توعية المسلمين وإبلاغهم بخسارة الفرنسيين، فإن استنتاجنا هو :أنه أراد الإضرار بوحدة المسلمين وكسب ولاء ضعفاء العقول منهم، للفرنسيين والمفاخرة بالإنسانية واتساع المعرفة وسرعة الذكاء، كما لعب الدكتور وارني (Warnier) [2]هذا الدور في مدينة معسكر لما كان يعالج مرضى المسلمين،لا بهدف مداواتهم وإنما لكسب عاطفتهم لصالح الفرنسيين،وأيضا بخلق الشقاق بينهم وتشتيت صفوفهم[3].

بدأ روش ينظم اتصالاته مع بعض الفرنسيين والجزائريين بهدف جمع المعلومات الكافية حول أحوال الأمير عبد القادر فاتصل بالملازم الأول "فيرجي[4]"Verge ، " قائد فرقة "الصبايحية"Spahis ، في مدينة "بوفاريك". ورافقه إلى مدينة البليدة لحضور الحكم على بعض الجزائريين كانوا قد قتلوا أحد الجنود الفرنسيين. أظهر ليون روش إسلامه أمما الحاكم لجلب نظره، فاستضافه هذا الأخير عنده. فاغتنم روش هذه الفرصة للاتصال بمرابط المدينة، سيدي بلقاسم ابن سيدي الكبير، وأظهر له بصفته مسلما، تخوفه من رجال قبيلة "الحجوط" لأن يغتالوه كما فعلوا مع الجندي الفرنسي. فوثق به المرابط على حسن نيته، واستضافه في بيته. فالتقى هناك ببعض المسلمين كانوا في ضيافة سيدي بلقاسم، واستقبلوه بحفاوة لاعتقادهم أنه مسلم. وفي هذه الأثناء حضر رسول الأمير عبد القادر، وأخبره سيدي

---

[1] -Roches،32ans ،t1،pp62-64.

[2]عندما عين النقيب "دوماس "قنصلا لفرنسا في معسكر ،في شهر نوفمبر1837م،كان الدكتور وارنيي بجانبه يساعده على أداء مهمته،ويعمل على كسب عاطفة المسلمين ،ويجوب الحقول و القرى لمعالجة مرضاهم.وكان من بين المرضى ابن الأمير عبد القادر .فنال وارني بذلك تعاطف المسلمين وإعجابهم،أنظر :Yver،correspondancedu capitaine Doumas، Alger،consul de Mascara(1837-1839)، 1912.

[3] – أنظر كتاب السيدة" تورين" (الاصطدامات الثقافية في الجزائر المستعمرة)الذي تناولت فيه تصادف الثقافة والطب الفرنسي بالثقافة والطب الجزائري من بداية الاحتلال إلى سنة1880.وهو كتاب قيم نستطيع أن نستخلص منه الطرق التي انتهجتها فرنسا في فرض ثقافتها على الجزائريين وإدماجهم في الوسط القيم الفرنسي ومحاولة صبغهم بعادات وتقاليد أوربا و،

Yvonne، Turin ،Affrontements Culturels dans l’Algérie coloniale .Ecoles،médecines،religion1830-1880،paris،F .Maspéro،1971 .

[4]– فيرجي شارل نيكولاس"ولد سنة1809م عينه الجنرال"فوار ول"سنة 1833مبرتبة رقيب في هيئة الصبايحية التي كان يقودها علال بن بوزيد قائد قبيلة بني خليل،وبعد ذلك بقليل عينه برتبة ملازم أول. أنظر :العربي إسماعيل،سفارة الميلودبن عراش لدى الملك لويس فليب (خلفياتها ونتائجها)،مجلة التاريخ،عدد6جويلية1978م،الجزائرص101–103.

بلقاسم بأن الأمير يريد بسط نفوذه على القبائل المقيمة في الشرق الجزائري التي لم تخضع بعد لسلطانه[1]. فتقدم روش حينئذ وأخبر سيدي بلقاسم أنه يريد الالتحاق بالأمير وبذل كل جهده لخدمته. فاستبشر المرابط بكلامه، ودعا له بالتوفيق وفرح به أشد الفرح لاعتقاده في أن الله قد هداه من الكفر إلى الإيمان. ففرح روش حينئذ واستبشر ببلوغ مراميه لأن التحاقه بالأمير عبد القادر يعتبر عملا هاما في خدمة فرنسا، فيكون بذلك قد بادر بمساهمة حسنة في تحقيق طموح بلاده[2]. خاصة وأنه، حسب قوله، ما اعتنق الدين الإسلامي إلا ليدخل في وسط جيش الأمير ويقترب منه ليتعرف على أحواله ويجعل منه حليفا لفرنسا، ويؤدي في الأخير إلى استسلام الجزائريين لها[3]. في نوفمبر 1837، أخذ ليون روش متاعه إلى مليانة في طريق العودة إلى أولاد سيدي موسي، كتب له المرابطة سيدي بلقاسم رسالة بطلب له فيها الأمان من مرابط حجوط، كان الطريق مفتوحًا أمامه ، ووصل إلى مدينة مليانة حيث كان يقيم صديقه عمر باشا. لذلك استقبله وأمده بالعديد من النصائح حتى لا يشك فيه المسلمون. فعل عمر باشا هذا لمساعدة روش للوصول إلى عشيقته ،وهو يعرف أنه تظاهر بالإسلام إلا من أجلها في الوقت نفسه، لم يكن الخليفة محمد بن علال في المدية ، فاتصل روش بنائبه وكاتبه قدور بن رويلة وأوضح له أنه مسلم ويريد الانضمام إلى الأمير عبد القادر لتقديم خدماته، وأهدي له مصحفا[4] فاستبشر تدور بن رويلة بإسلامه ووعده أنه سيصطحبه هو بنفسه إلى معسكر الأمير ، وسوف يطلب من الخلية محمد بن علال أن يقدمه للأمير ، حيث استقبله الأمير بشكل جيد وفرح لخبر دخوله الإسلام وقال له أيضا أن مسلمي الجزائر قد أطلقوا عليه اسم عمر ففرح الأمير لإسلامه، وطلب من قاضي معسكر أن يسمع له معلوماته عن الإسلام ،و له أن المسلم الحقيقي لا يكتفي بقوله أنه

---

[1] –Roches ، t1،32ans، pp. ، 70–75

[2] –Ibid .pp.76–79.

[3] –يوسف مناصرية، المرجع السابق،ص25.

[4] – نفسه، ص25.

اعتنق الإسلام ،وإنما يحب أن يفهم ويعرف ما يجب أن يكون عليه المسلم المخلص الصادق في القول والعمل[1].

وهنا بدأ روش يرتب أمور عمله لأداء مهمته الحقيقية كجاسوس. وبدأ يأخذ حذره من أن يتقن عملا لصالح الأمير ويرتكب بذلك جريمة ضد بلاده[2]، فما كان عليه إذن إلا أن شرع في جمع المعلومات ومراسلة الفرنسيين وتعريفهم بجميع أحوال الأمير العسكرية والسياسية وغيرها. وبعث أول رسالة له من معسكر الأمير في "واد نوغة" بتاريخ 19 ديسمبر 1837م، إلى أحد الفرنسيين، لم يذكر اسمه، وأشار إليه بعبارة (صديقي) استهلها بإعطاء وصف دقيق جدا جدا عن شخصية الأمير عبد القادر، ومناقبه ولباسه وأوصافه الجسمية والخلقية، والدينية، والثقافية وقال أنه رجل عادل يحترم تعاليم دينه، وأن المسلمون يخضعون له بسبب احترامه الشديد لتعاليم الإسلام، وسيره على نهج الخلفاء الراشدين. ثم تطرق للحديث عن الحالة الاقتصادية والمالية والعسكرية. فقال أن موارد الأمير الاقتصادية منعدمة وأن حالته المالية سيئة وجيشه النظامي مفتك ومشتت وضعيف المعنويات، وأن سلطته جزئية ولم يعم نفوذه كل القبائل. فقد خرجت عليه قبائل الجنوب قبل عقد "معاهدة التافنا"، ولم تعترف بسلطانه، ولم يبق في يده إلا بعض قبائل الإقليم الوهراني[3].

ومن الناحية السياسية ،قال روش إن معاهدة التافنة بالنسبة للأمير هي "فترة تمكنه من تجهيز نفسه للدخول في الحرب من جديد.

وفيما يخص تنظيم الأمير الإداري،أخبر روش أنه قسم دولته إلى ثمانية إمارات وعين على كل واحدة خليفة له ...كما فصل أيضا في رسالته إلى (صديقه)كيفية جباية الضرائب والزكاة والعشور. ويبين موقف المسلمين من استعمار فرنسا للمدن الساحلية بأن رأيهم مجمع

[1] - Roches، 32ans ،T.I،pp106-159

[2] - Ibid،pp،160-163 .

[3]–يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص26.

بأن الاحتلال مؤقت وسيتم شراء كل المدن،ويرجع الفرنسيون إلى بلادهم وتسود سلة الأمير كل بلاد (إفريقيا)[1].

إن هذه الرسالة تثبت النوايا السيئة لهذا الجاسوس. واصل روش مهمته كجاسوس وكشف للفرنسيين عن أسرار الأمير العسكرية والإستراتيجية. وقال أن هدف الأمير الأساسي من هذه الجولة هو بسط نفوذه على قبائل شرق البلاد، ومن ثم جمع الضرائب وتقوية ميزانية دولته. ثم شرح (لصديقه) كيفية محاربة الأمير للقبائل في وادي الزيتون انطلاقا من معسكره في وادي نوغة[2]، وكيف انتصر عليهم في الأخير بفضل دقة أوامره وتنظيم جيشه. وأعرب له في الأخير عن رأيه في معاهدة التافنا، وقال أنه لا يجب عقد أي سلم مع هؤلاء العرب المتبربرين[3].

وأكثر من ذلك فقد ظهر "روش" على حقيقة أمره كجاسوس عندما كتب للنقيب دوماس قنصل فرنسا بمعسكر ،وقال له بأنه التحق بالأمير حتى يخدم فرنسا بشكل أفضل وأنه سيتركه ما أن تعود الحرب[4].

ب/ أبرز مواقفه الخطيرة داخل جيش الأمير عبد القادر:

أرسل الأمير عبد القادر روش إلى تلمسان ليتعلم القرآن والتعاليم الإسلامية،[5] ، لكن سرعان ما بدأ العرب بالتوجس منه، حتى أن الخليفة بوحميدي وضعه تحت الرقابة السرية، وقد حاول الهرب إلى وهران ولكنه ألقي عليه القبض[6]، فقرر بوحميدي إرساله إلى الأمير ليحكم في أمره في أوت1838م. وقد كتب من تلمسان رسالته الثانية إلى صديقه في شهر

---

[1]- pp164-167 .،t1،32ans،Roches
Le Maréchal Bugeaud d'après sa correspondance intime et des documents ، Ideville ،Henri pp 83-85. ،1882 ،Paris،inédits(1784-1849)T.2

[2]–محمد بن عبد القادر الجزائري،تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر،ج1،ج2،تعليق د.ممدوح حقي الطبعة 2،2007مبدون مكان ،ص195–196.

[3] -pp77-79.،t1،32ans،Roches

[4]–مصطفى خياطي،علاقات الأمير عبد القادر مع اليهود، المرجع السابق،ص193.

[5] -50-53.،Corr.Daumas،Yver

[6]- pp.205-212.،T.I،32ans،Roches

فيفري1838م فصّل له فيها النظام الإداري والعرفي الذي كانت تسير عليه قبائل غرب البلاد. وشرح له ما عرفه عن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والثقافية والدينية التي كان يمارسها الأهالي[1].

روش يعلم جيدا أن الدين الإسلامي يعدل بين الناس جميعا ولا يفرق بين سائد ومسود،فعندما وقف أمام الأمير قام روش بعرض مسرحي متميز لينقذ نفسه ،باكيًا ومشتكي من ظلم وجور الخليفة البوحميدي ورجاله،وسوء معاملته له وأنهم اعتبروه كافرا وليس مسلما ،ولعب روش على سذاجة [2]الأمير وقال له " هكذا يستقبل مسيحيا اعتنق الإسلام بإرادته؟"[3] ،إذ بالأمير يصدقه ووعده أنه سوف لا يتركه يفارقه أبدًا[4]. وعينه كأمين سره ،الأمر الذي دعم مكانته في معسكر[5]. ولما عاين المسلمون ما وصل إليه روش من مرتبة،آمنوا جانبه.،وازدادت ثقتهم فيه وتيقنوا من إيمانه خاصة بعدما رفض الرجوع مع أبيه إلى الجزائر في شهر ماي 1838م[6] .

---

[1]–رسالة نشرها السيد ايد فيل (مراسلات بيجو) ولم يشر إليها روش في كتابه(اثنتان وثلاثون سنة).

أنظر:Ideville،Corr.Bugeaud.T.2، .276–pp.274

[2]–تظهر سذاجة الأمير والمسلمين في معاملتهم ليون روش خاصة عندما استقبله الأمير لأول مرة وصدق كلامه،ولم يضع عليه أي مراقبة فصار "روش"يختلي بنفسه ويحرر رسائل للفرنسيين،بل إن الأمير أمر بتعليمه القرآن لثقته فيه وحتى لما حاول الفرار من تلمسان بسبب شكوك المسلمين في إسلامه وتقابل مع الأمير بعد ذلك ولم يأخذ هذا الأخير حذره منه بل قربه وجعله أمينه السري، وصدقه جميع المسلمين حتى الذين كانوا يشكون فيه من قبل ،ولعل الأمير كان قد قرب "روش "منه ليستفيد من خبرته في الجيش الفرنسي ويعلم منه الأسرار العسكرية وغيرها أنظر:يوسف مناصرية المرجع السابق،ص74.

[3] -pp.245-253،t1،32ans،Roches

[4] -252-253.،pp،Ibid

[5] -Yver pp.201-202.، Corr.Daumas،

[6]– يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص28.

وهكذا خرج روش مع الأمير عبد القادر في حملته على عين ماضي بتاريخ 12 جوان 1838م، كان الأمير عازما التوجه إلى جنوب لإخضاع قبائل الصحراء وتنظيمها تحت سلطاته ، وكانت الطريقة التيجانية[1] هي المسيطرة في هذه الأنحاء "عين ماضي " وكان صاحبها محمد بن سيدي أحمد بن سالم التيجاني يعامل معاملة المرابط من طرف الأمير ،ولكن شاء القدر أن يعثر هذا الأخير على رسالة التيجاني المبعوثة لأهل الأغواط يستنفرهم ضد الأمير ،وأيضا رسائل بعثها إلى الحاكم الفرنسي في الجزائر يقول له فيها..."أنت أشغل الحاج عبد القادر من تلك الجهة البحرية وأنا أكفيك أمره من جهة البر[2]..." كان التيجاني يرى بأنه أحق من حكم المسلمين من الأمير عبد القادر،خلا بهذا كل من الطرفين في حصار دام لمدة طويلة.حيث كان روش في هذا مكلفا بالتفاوض مع الشيخ التيجاني،وعمل على إفساد العلاقة بين الطرفين وهو المسئول عن المدة الطويلة التي دامها الحصار .فهنا عوضا أن يؤدي روش مهمته الحقيقية في تحسين الوضع بين الأمير والتيجاني ،بل عمل على تحريض هذا الأخير ضد الأمير وبين نقاط ضعف الأمير للتيجاني وأخبره بها . علاوة على هذا فإنه بعث أملا كبيرا في نفس التيجاني الذي ظن فعلا أن حصنه يحميه من الهجومات الخارجية،إلا أن روش لم يذكر للتيجاني أن الأمير لا يريد الاستيلاء على مركزه وإنما هدفه الوحيد هو جمع كلمة المسلمين لاستئناف الجهاد ضد الكفار،ومن هنا يكون روش قد زاد النار حطبا، وبلغ بذلك هدفه الأسمى وهو إضعاف قوة المسلمين وتشتيت رأيهم[3]. حرض الطرفين على بعضهم البعض ولما باشر جيش الأمير المعركة،كان روش يعلم جيدا أن الأمير سول ينتصر لا محالة،ويتمكن من جمع كلمة المسلمين ضد فرنسا. فعمل جاهدا على إضعاف قوته وذلك كونه كان على رأس الكراغلة لعلمه أن معظمهم يبغض الأمير. لم يظهر لهم روش ذلك ولكنه عمل ما أراد فعله من تبذير

---

[1]–التيجانية طريقة دينية أسسها سيدي أحمد التيجاني ما بين سنة1737و1815م ومركزها عين ماضي .انتشرت تعاليمها في كل من المغرب وإفريقيا السوداء،والحجاز،وتركيا.وكانت حليفة لفرنسا حتى أن حفيد الشيخ سيدي أحمد تزوج من الفرنسية أوريلي بيكارد (Aurelie Picard) سنة 1872.ولها مركز ثاني في تماسين قرب مدينة تقرت.ويقع مركز عين ماضي على بعد 72كلم تقريبا غرب الأغواط.أنظر:يوسف مناصرية ،المرجع السابق ،ص 74.

[2]–رسالة الأمير عبد القادر إلى وكيله في المغرب.أنظر:

pp.93-111.،(1909)،n°60،Revue Africaine،(Abdelkader et le Maroc en1838)،Yver،Georges

[3]– يوسف مناصرية، المرجع السابق،ص30.

الذخيرة...[1]،ولولا الذخيرة التي وصلت الأمير من وكلائه في المغرب والتي أرسلها له المارشال فالي طبقا لنصوص معاهدة تافنا لانهزم الأمير فعلا بسبب ضعف قواته ونفاذ ذخيرته[2]. لم يتفطن الأمير لمخادعة روش، ورفع من قيمته أكثر من ذي قبل[3] وبعد ما تم استيلاؤه على مركز عين ماضي ،منحه الأمير وسام الريشة واعترف بمجهوده في المعركة ومما يؤكد لنا مهمة ودور ليون روش الخطير كجاسوس فرنسي، اتصالاته مع النقيب غي منتصف شهر ماي 1839،وإخباره أن الأمير يهدف من وراء زياراته لقبائل شرق البلاد .إلى تفقد الأجواء قبل استئناف الحرب ضد فرنسا، وأيضا زيارة القبائل القاطنة على الحدود التونسية وأخبره بأن الأمير يريد السلم على الأقل لمدة قصيرة تمكنه من جمع الضرائب وتعويض خسارة عين ماضي ...وأخبره أيضا أنخ إذا أراد المارشال فالي شف الطريق ليربط بين مدينة الزائر وقسنطينة ،فإن الأمير سوف يعلن الحرب لا محالة،واستمر يقول أنه كاتب الأمير كل من الملك لويس فليب،ووزير الحربية...يطلب المحافظة على السلم وذلك لأن وكلاءه أكدوا له أن المارشال فالي مصمم على نقض المعاهدة بإدخاله على نصها وبنود إضافية[4]،أكد روش للنقيب دوماس في آخر محادثته معه أنه سوف يبذل أقصى جهده في خدمة بلاده...فنبهه دوماس إلى استغلال نفوذه على الأمير في أداء واجبه وفعلا قام روش بواجبه كما ينبغي حيث طلب من الأمير أن يمنحه مهمة تفتيش مصانع الأسلحة المتمركزة في مختلف المدن،وبلغ مراده وعمل على تحطيمها بدليل أنها لم تنتج شيئا يستحق الذكر منذ نشأتها[5]،وأكثر من ذلك ،وهو دليل قاطع على ذلك ،أنه قد توقف عمال مصانع تاقدامت الفرنسيين عن العمل مباشرة بعد قرار مجلس الأمير لاستئناف الجهاد ضد العدو[6].

---

[1] - Roches ،32ans t.l، pp306-352.

[2] -Ipd.pp314 315.

[3] -Ipd.pp320-327.

[4] – ابن عبد القادر،تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر،ج1 ص305–361.

[5] -Roches ،32ans، T.I ?PP374-384.

[6] -Ipid ،pp384-388.

Yver.opcit.pp479-480.

pp370-371.،Riches.32ans.T.I

المطلب الثالث: نهـاية مهمــة ليون روش في دولة الأمير عبد القادر

ولما أعلن الأمير الجهاد وبدأت التجهيزات، وكان الأمير في تاقدامت كما سبق الذكر، والتقى مع ليون روش، فسأله عن موقفه من استئناف الجهاد ضد العدو، فلم يملك روش نفسه حينئذ وأعلن له أنه لا يريد مقاتلة فرنسا الأم التي تحمي إخوانه. ولما أكد عليه الأمير أنه كمسلم يجب أن يعادي أعداء الله، انفجر روش في وجه الأمير وأعلنها له صراحة أنه لم يكن مسلما أبدا. فحاول الأمير تهدئته، لظنه أنه منفعل فقط. ثم أن الأمير ترك روش وشأنه، وربما إلى أن يفاتحه في الموضوع مرة أخرى. ولم يعط للموضوع أهمية كبيرة حتى أنه لم يخبر أحدا بما بدر من روش. وسافر الأمير في نفس الأسبوع إلى تلمسان لتنظيم شؤون دولته دون أن يترك أية أوامر تخص روش[1].

قرر روش العودة إلى الجيش الفرنسي، وانتهز فرصة غياب الأمير، وأخذ كل ما يحتاجه وتوجه نحو مدينة وهران[2]، وخادع المسلمين بقوله أن الأمير قد بعثه في مهمة إلى مدينة مليانة ليتفقد مصانع الأسلحة. وذلك ليتجنب متابعتهم له إذا علموا بحقيقة أمره. إن من بين الوثائق التي أقر روش أنه أخذها معه، خريطة جغرافية جزائرية، كان قد أحضرها ميلود بن عراش وجهاز بوصلة، وخاتمه بصفته كاتبا للأمير، وعددا من الرسائل استعملها في شكل برقيات ليخادع بها كل من يعترض طريقه . ولما وصل إلى منطقة معسكر وتلمسان أخبر اعترضه من الأهالي أنه ذاهب في مهمة إلى هاتين المدينتين بأمر من الأمير. فساعده المسلمون لذلك في معرفة المواقع، ولما دخل إقليم وهران التقى ببعض المسلمين، فاستوقفوه، فأظهر لهم بعض الرسائل عليها خاتمه، وقال لهم أنه يحملها إلى وكيل الأمير في وهران، وسلم لهم تذكرة باسمه أثبت فيها أقواله. واستطاع روش بعد ذلك أن يصل إلى مركز الجيش الفرنسي في "الكرمة" صحبة رفيقه "إيزدور". وانتقل من هناك إلى مقر حاكم

---

[1]-Roches ،32ans ،T.I ،pp.390-391.

[2]–مصطفى خياطي، علاقات الأمير عبد القادر مع اليهود، المرجع السابق،ص195.

إقليم وهران[1].

وهكذا يكون ليون روش قد التحق بجيش الأمير عبد القادر في فترة كانت فرنسا تجهز نفسها إلى حملة انتقام واحتلال ضد قسنطينة. فكان عليها أن تركز كل جهودها لقمع المقاومة الجزائرية في شرق البلاد. وقد فعلت واحتلت قسنطينة في 27 أكتوبر 1837م، وفي هذه الآونة بالذات التحق روش بالأمير عبد القادر ليتجسس عليه ويلعب على ذقون المسلمين باسم الإسلام. فانخدعوا له وأطلعوه على جميع أسرارهم ومصادر قوتهم. فألم بما فيه الكفاية وبلغ مراميه. ويا ليته اكتفى بذالك فقط، ولم يعمل على تخريب منشآت الأمير الصناعية والحربية التي كان المسلمون يضعون فيها أملهم ويتوقعون بواسطتها انتصارهم على العدو . وأهم نقطة اطلع عليها ليون روش الجاسوس هي مصدر قوة المسلمين ومنبع حيويتهم المتمثلة في تمسكهم بدينهم.

فلقد كان المسلمون في الجزائر لا يملكون الأسلحة الحديثة، ولا الذخيرة للمصانع، ولا أموالا طائلة على الأقل لشراء كل ما تحتاج إليه الحرب من تجهيزات. وإنما كان التمسك بالدين هو القلب النابض عند جميع المسلمين، غير أن نقطة ضعفهم كانت تمكن في اختلاف الطرق الدينية التي كانوا يتبعونها وعرف روش كل ذلك، واطلع على أدق أمور المسلمين وعاد إلى الحكام الفرنسيين في وقت كانت فرنسا في أشد الحاجة إلى مثل هذه الأخبار الدقيقة النادرة والتي كان محرما عليها معرفتها[2].

نستنتج أن ليون روش أفاد بلاده سواء كان قد التحق بالأمير عبد القادر من تلقاء نفسه أم كان ذلك بإيعاز من الضباط الفرنسيين. وعلى كل حال فلقد جازته فرنسا خير الجزاء، وقلدته رتبا هامة في جيشها، وخولته مناصب حكومية عالية. وكلفته بمهام أشد خطورة على المسلمين من التجسس عليهم.

---

[1]– يوسف مناصرية،المرجع السابق،ص33.

[2]– يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص33.

المبحث الثالث

مواصلة روش في مطاردة الأمير عبد القادر

المطلب الأول: رحلة ليون روش إلى الحجاز (1841-1842م)

المطلب الثاني:دور ليون روش في العلاقات الجزائرية المغربية (1845م-1847م)

المطلب الثالث: تداعيات مهمة ليون روش

المطلب الأول: رحلة ليون روش إلى الحجاز (1841-1842م)

قام ليون روش برحلة إلى الحجاز خلال سنتي (1841- 1842م)، حيث كان متنكرا في زي حاج مسلم يدعى (عمر بن عبد الله)، وكان هدفه من هذه الرحلة الحصول من علماء الحرم الموافقة على نص الفتوى الشرعية التي جاء بها من الجزائر، تجعل الجهاد ضد الفرنسيين من باب إلقاء النفس إلى التهلكة.

بعد تقديم ليون روش تقارير مفصلة عن الأحوال العسكرية والسياسية لإقليمي الجزائر ووهران، مكنته من التخطيط بدقة لعملياته العسكرية المقبلة ضد الأمير عبد القادر، خاصة في سنة 1841م عندما أصبح الحاكم العام على الجزائر هو المارشال " بيجو توماس " والانتصار الذي حققه على مدينتي تاقدامت ومعسكر في النصف الأخير من شهر ماي 1841م، كان روش من بين الضباط الذين أثنى عليهم الجنرال في تقريره لوزير الحربية، وبعد احتفال بيجو بانتصاره في هذه الحملة في مدينة الجزائر[1]. اقترح زيادة على خططه العسكرية نيل فتوى من كبار العلماء المسلمين تحرم على مسلمي الجزائر محاربة أهل الكتاب (المسيحيين)، وذلك لتفتيت صف الأمير[2]، وهو أمر لم يكن قد خطر على بال أحد الحكام الفرنسيين السابقين له، بل ما كان ليهتدي له هو نفسه لولا آراء ليون روش، فقد سمع الجنرال بيجو قول الأمير أثناء مفاوضات اتفاقية تافنة " إنكم تتحدثون عن دينكم ... لو كنتم مسيحيين... لكنتم من أحسن أصدقائنا، إذ أن القرآن ... يأمرنا بالسلم... واحترام دين عيسى ابن مريم..."[3].

وبما أن الجنرال بيجو كرجل عسكري، لم يكن يهتم بالأمور الدينية، وكان يجهل سر قوة المسلمين، ولكن ليون روش كان يعلم أن قوة المسلمين تكمن في تمسكهم بدينهم، ولذا

---

[1]-يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص40.

[2]-فريدة قاسي، الدولة في فكر الأمير عبد القادر (1832-1847م)، المرجع السابق، ص245.

[3]- يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص40.

عمل من جهته على إقناعهم بأن دينهم يحرم عليهم محاربة أهل الكتاب، وإن لا يرموا بأنفسهم إلى التهلكة، ويقاتلوا عدوا أكثر منهم عددا وعدة[1].

كان روش هو الرجل الذي وقع عليه اختيار بيجو للقيام بهذه المهمة وذلك لكونه يتقن اللغة العربية، ومطلع على عادات وتقاليد المسلمين، وله معارف كثيرة من كبار شيوخ القبائل وهم يثقون فيه لاعتقادهم في إسلامه. وسلم الجنرال بيجو لليون روش بتاريخ19-07-1841م رسالة منه إلى قنصل فرنسا العام في تونس يوصيه بمساعدة روش بالقيام بمهمته السرية، ومستهلها ،(j'ai l'honneur de vous informer que je Donne aM .Leon Roches interpret principal، une mission secrere dans l'interieur de l'Afrique، et que les circonscances exigent qu'il passé par Tunis…)[2].

كما أن روش بعث برسول إلى التيجاني ليشرح له هدف المهمة التي ينوي القيام بها، وطلب منه أن ينظم إلى صفهم، فطلب هذا الأخير من الزوايا (الطريقة الطيبية، وخليفة الزيبان، وأولاد سيد الشيخ) التي كانت على وفاق معه أن تفوض ممثلا عن كل واحدة ليرافق روش[3] في مهمته، حتى أن التيجاني سعد بهذه العملية التي كانت حسب رأيه سوف ترسخ الهدوء في نفوس المسلمين الذين يحاربون فرنسا تحريضا من الأمير عبد القادر، خاصة بعد ما امتثل كل الرؤساء لمطلب التيجاني واصطحبت قوافلهم ليون روش إلى تونس في 19 جويلية 1841م.[4] كما كتب الشيخ محمد الصغير رسائل إلى مقدميه في تونس لتسهيل مهمة ليون روش، منهم الشيخ عبد الله المحجوب[5].

---

[1]- يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص40.

[2]- أنظر الملحق رقم02، ص83.

[3]-مصطفى خياطي، علاقات الأمير عبد القادر مع اليهود (1832- 1847م)، تر: أمينة شيخ، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال، النشر والإشهار وحدة الطباعة الرويبة، 2013م، ص195.

[4]-جيدل عبد العزيز، نماذج عن الجوسسة الفرنسية في الجزائر في القرن 19، مذكرة لنيل شهادة الليسانس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2008-2009م، ص33.

[5] -Roches ; 32 ans ; T2 ; P 101

أما روش فكان يرتدي لباسا إسلاميا عند وصوله إلى تونس مع هذه القوافل، وعندئذ تم تسليمه جواز السفر، إلى مدينتي الصفاقس وقابس وذلك في 7أوت 1841م كما أنهم واصلوا سيرهم حتى دخلوا القيروان، هنا استطاع بمساعدة رفقائه من أتباع الطريقة التيجانية مولود بن سالم الأغواطي ويحي بوزيدي أن ينال الموافقة على نص الفتوى[1] من علماء القيروان ولتدعيم هذه الفتوى واصل روش رحلته إلى القاهرة أين التقى بالشيخ " حسن بن إبراهيم التونسي " الذي كان مفتيا بالقيروان وهذا الشيخ هو الذي لازم روش أثناء رحلته إلى الحجاز، كما أنه كان يقلده في أداء الشعائر الدينية ، ويشير إليه دائما باسم المفتي، كما أن الشيخ كان متقدما في العمر وترافقه زوجته، حيث كان يقيم في القاهرة عند صهره الذي يسميه روش الشيخ التونسي، وهو على ما يبدو الشيخ محمد بن عمر التونسي[2] مؤلف كتاب تشحيذ الأذهان، الذي كان مخالطا للفرنسيين في مصر حتى أن الرجلان التونسيان كانا يعتقدان في حقيقة إسلام " روش "، فعلمه الشيخ التونسي اللغة العربية الفصحى، ووجهه الشيخ المفتي إلى التعمق في العلوم الدينية وذلك أثناء إقامة روش بالقاهرة.

كما نجد أيضا من الأسماء الأخرى التي ذكرها " ليون روش" في رحلته، الشيخ عبد الله بن محجوب مقدم التيجانية في القيروان فهو الذي قدم الفتوى إلى علماء هذه المدينة وذلك إثر اجتماعهم في جامع عقبة بن نافع، وطلب منهم الموافقة عليها، نجد كذلك أن روش يذكر الشيخ القادري في مصر ويقول أنه الوحيد الذي عارض الموافقة على الفتوى عند اجتماع علماء الأزهر ويرجع نسب الشيخ القادري الموافقة على الفتوى بكونه ينتمي إلى

[1]–أنظر الملحق رقم03، ص84.

[2]– محمد بن عمر التونسي كان يعمل مع البعثة الفرنسية في مصر، كما تعرف على الدكتور بيرون هناك وهو الذي ترجم كتابه تشحيذ الأذهان إلى الفرنسية. انظر: تاريخ عبد الحميد بك (تراجم من المشارقة المغاربة) دار الغرب الإسلامي، تحقيق أبو القاسم سعد الله، بيروت، 2009م.

الطريقة القادرية، التي ينتمي إليها الأمير عبد القادر كما أنه كان صديقا لمحي الدين والد الأمير عبد القادر[1].

الذي يعرفه منذ سنة 1827م حيث مر محي الدين بالقاهرة رفقة ابنه عبد القادر في طريقهما إلى الحج، ولم يذكر روش اسم أي عالم من علماء الأزهر وإنما قال أن الذي ترأس الاجتماع هو إمام الجامع الأزهر، والذي قدم الفتوى إلى المجلس هو الميلود بن سالم كما أن روش لم يذكر علماء الحرمين الذين اجتمعوا في الطائف بدعوة من الشريف حيث أن اجتماع العلماء عند الشريف بالطائف كان يجرى كل سنة أثناء الحج، باستثناء الشيخ محمد بن علي السنوسي هذا ما يؤدي إلى الشك في مصداقية روايات روش.

أما من الجانب الفرنسي فنجد أن الفرنسيين الذين سهلوا مهمته فنذكر منهم، بالإضافة إلى المارشال بيجو نجد فولجنس فرينسيل قنصل فرنسا في جدة، الذي كان يقيم مؤقتا في القاهرة كما أنه كان يعرف فرينسيل شريف مكة محمد بن عون معرفة جيدة،والدليل على ذلك أنه كتب إليه رسالة تركية قوية تتعلق بمهمة روش[2].

ومن خلال رحلة ليون روش نجد أن روش لقي ترحيبا كبيرا بل نجا من الموت على يد الشريف – هو الذي أنقذ حياته – كما استفاد أيضا في القاهرة من خبرة الدكتور بيرون مدير مدرسة الطب بالقاهرة، ثم مدير المعهد العربي الفرنسي في الجزائر، كما نجد من الذين ساعدوا روش قنصل فرنسا في تونس وهو " دي لغو " الذي كان موكلا بمنح روش التسهيلات في تونس ثم مالطا بمصر[3].

بعد عشرة أيام من مغادرة " ليون روش " القاهرة ، وصل ركب الحجاج إلى مكان يدعى مغائر شعيب وهو مكان يقول عنه روش " واد فيه نخيل وأشجار مثمرة من كل

[1]– أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ العربي، المرجع السابق، ص225– 226.

[2]–نفسه، ص326. 327.

[3]– نفسه، 326. 327.

الأنواع، وكان ذلك يوم أول شوال 1257هـ الموافق لـ 16 نوفمبر 1841م"، كما مروا بمحطات مثل عيون القصب والمويلح إلى أن وصلوا إلى ينبع الخيل أو ينبع البر حيث استراحوا بعض الوقت – ثم واصلوا السير إلى ينبع بحر حيث تسوقوا كما وصف روش ينبع البحر بالنشاط التجاري وغيره وتحدث عن سكانها ومبانيها وعلاقاتها وقد كانت القافلة التي

فيها روش تضم حوالي 100 جمل كما توقفت القافلة عند بدر حنين التي هي من بين محطات القوافل المتجهة لمكة، هنا نجد روش تطرق للمعركة التي وقعت بين المسلمين والمشركين(قريش) في السنة الثانية للهجرة، كما زاروا في طريقهم مسجد " الغمامة "، مع خوفهم من هجوم البدو عليهم لأن قافلتهم لم تكن محمية بالجنود مثل بعض القوافل الأخرى[1].

كما أن القافلة كانت تسير ليلا وتتوقف في النهار للنوم، والطريق بين بدر والمدينة كان سهلا لأنه يعبر أودية فيها مزارع مسفية على حوافها وحولها نخيل وأشجار مثمرة، لكن الموقع المسمى (ثنية الوسط) كان صعبا بل خطيرا، بعدها واصلوا سيرهم إلى مكان يدعى واد الشهداء حيث ذكر لهم الدليل أن هناك قبورا لأربعين من الصحابة الذين استشهدوا أثناء معركة ضد المشركين، فنزل روش والقافلة من ظهور الجمال ودعوا الله عند تلك القبور، بعدها عسكروا في واد العقيق لتطل المدينة عليهم بعدها بالخصوص قبة الرسول صل الله عليه وسلم، وقد كان روش يقلد المفتي المرافق له في الدعاء والصلوات والابتهالات وحتى قراءة آيات من القرآن الكريم[2].

دخلوا المدينة المنورة من باب العنبرية، وبعد أن قطعوا جسرا نزلوا ساحة المناخ الفسيحة التي تفصل المدينة على الضاحية التي هم فيها نازلون، كما أنهم مروا بالباب المصري وقادهم الدليل إلى حي الأغوات حيث سجل روش أنه كان مهتما برؤية المدينة

[1]– أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ العربي، المرجع السابق، ص328.

[2]– نفسه، ص 328. 329.

المنورة التي لم يدخلها قبله سوى مسيحي واحد أو اثنين كما وصف الحرم المدني والشعائر الدينية التي أدوها فيها، وفي 29 شوال 1257هـ الموافق لـ 14 ديسمبر 1841م، غادر روش المدينة المنورة من الباب المصري، وانضموا إلى قافلة تضم حوالي مائة جمل متجهة إلى جدة[1]. وقد سلكوا نفس الطريق الذي جاءوا منه وهو طريق ينبع المدينة، حيث استغرقوا أربعة أيام للوصول إلى جدة، حيث ذكر روش أن هناك محطة تدعى الصفراء وهي بلدة ذات بساتين، ومنها انفصلوا عن القافلة واتجهوا إلى مكة المكرمة[2].

ولما وصلوا إلى باب العمرة استقبلهم المطوفون الذين وجهوهم للدخول من باب السلام، وفي هذا الوقت جاءت موافقة الشريف (محمد بن عون) على استقباله، وأرسل إليه الشريف كتاب الأمان ووسائل المواصلات والخدم، وقد سماه الشريف في الكتاب الذي أرسله له باسم (عمر بن عبد الله الجزائري)، ورافقه إلى الشريف مقدم الطريقة التجانية " الميلود بن سالم الأغواطي "، حيث قطعوا المسافة بين مكة والطائف وهي تبلغ حوالي 90 كلم في ظرف يومين، كما مروا بعرفات وفيها استبدلوا الجمال بالحمير، وذكر روش اسم المحطة في جبل عرفات وهي قهوة عرافات، كما أنهم في طريقهم للطائف مروا على قرية رأس الكرا، ثم جبل الكرا الذي تسكنه قبيلة هذيل ومروا بواد خصب اسمه وادي محرم، وعند اقترابهم من الطائف وجدوا واديا تزرع فيه قهوة، وقد حضي روش في الطائف باستقبال رسمي، وأعجب بالشريف وسياسته، رغم أنه كان في نظره تابعا لسياسة محمد علي باشا والي مصر. حيث قضى روش9 أيام في الطائف، وعند عودته إلى مكة، أعلنت طلقات المدفع وصول قافلة الحج الشامي التي نزلت في شمال مكة، بمكان يدعى " الشيخ محمود " وفي اليوم التالي 18 يناير 1842م وصلت قافلة الحج المصري التي نزلت في السفوح الواقعة شمال طريق مكة الطائف، أي على بعد حوالي 1كلم من مكة، وتهاطلت قوافل الحجيج من شتى أنحاء العالم الإسلامي، وخرج روش ومرافقوه إلى عرفات ومروا بطريق يسمى " المأزمين "، وشاهد

[1] - Roches ، 32ans ، T2 ، p 86.
[2]- - ibid. ،p 86.88.

كيف تنزل كل قافلة هناك بترتيب موروث منذ أمد بعيد، وقد صعد جبل الرحمة ثم حان وقت الرحيل من عرفات، فإذا بالحراس يتقدمون منه ناصحين، أيها الرومي.

هنا قبضوا عليه وكتفوه ولفوه ووضعوه على جمل، وذلك لأن بعض الحجاج الجزائريين قد تعرفوا عليه وأعلنوا لسلطات الشريف أنه مسيحي وجاسوس للحكومة الفرنسية، وهناك تدخل الشريف وأنقذ حياته وأرسله إلى جدة ومن هناك ركب على ظهر سفينة إلى القيصر، ومنه إلى النيل عن طريق " قنا" وقد زوده الشريف بصرة من الذهب والفضة[1].

وخلاصة هذه الفتوى التي لم يعثر على النص الأصلي لها لذا يجب الحذر من آراء المؤرخين حولها خاصة الفرنسيين منهم << يجب على المسلمين مهادنة الكفار الذين غزو بلادهم (أو أراضيهم) بالقوة، وذلك إذا لم يؤذ هؤلاء نساءهم، وأطفالهم، وسمحوا لهم بممارسة دينهم وتركوا لهم حرية إيمانهم >>[2]، وقد قال أحد الباحثين الفرنسيين: " وقد أدت هذه الوثيقة (الفتوى)، في وقتها أكبر خدمة لتأسيس احتلالنا للجزائر[3].

ولكي تكون الفتوى فعالة وشرعية رأى الذين صاغوها ضرورة موافقة أعيان علماء المسلمين عليها، وما إن تمت الموافقة والمصادقة عليها، عمل الفرنسيون على توزيع هذه الفتوى على القبائل، وشاعت أخبارها في القطر الجزائري، وأعجب بها المعلمون الذين ضعفت قوتهم، وفضلوا الراحة على الجهاد حتى أنهم كانوا ينادون ليون روش باسم " الحاج عمر " وكتب الجنرال لامورسيار، من إقليم وهران إلى بيجو يخبره مستبشرا بتأثير الفتوى في نفوس المسلمين فتواروا عن القتال، ولذا كتب بيجو بدوره إلى وزير الحربية، بتاريخ 23 نوفمبر 1841م يقول << لقد كان سفر روش إلى مكة، وانجراره وراء الحجاج، أمرا لم

[1]–أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ العربي، المرجع السابق، ص330.

[2]–يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص41.

[3]–فريدة قاسي، الدولة في فكر الأمير عبد القادر (1832– 1847)، منشورات بونة للبحوث والدراسات ، عنابة، الجزائر، 1433هـ/ 2012م، ص245. انظر: سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج1، ص276.

أرضه، ولكن نظرا لما كسبناه من وراء ذلك من الناحية السياسية المحضة. فقد نال إعجابي وصالحته على السعي المحمود >>[1].

وبعد ذلك بقليل، أعد بيجو خاتما نقش عليه الشطر التالي من الآية الكريمة << إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعقبة للمتقين >>[2]. الآية تصف الشقاق الذي نشأ بين موسى وتبعة فرعون << وقال الملأ من قوم فرعون أنذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويدرك وآلهتك قال ستقتل أبنائهم ونستحي نسائهم وإنا فوقهم القاهرون >>

<< قال موسى لقومه، استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين >>[3]. استعملها بيجو منذئذ في جميع مراسلاته مع المسلمين لكسب ولائهم لفرنسا باسم الدين، واغلب الظن أن روش هو الذي اقترح ذلك على بيجو، لأن هذا الأخير كان لا يعرف اللغة العربية، وليس له إطلاع على كتاب الله.

مما سبق يمكن القول أن ليون روش لم يتوقف عن نشاطه، فما إن عاد، بدأ بالاهتمام بوضع شبكة معلومات على طول الحدود الغربية، ليتابع جديد الأمير، الأمر الذي جعل الفرنسيين يضغطون على المغرب، فقد بعث مرات عديدة إلى طنجة وحتى إلى الرباط أين قضى أوقات طويلة حتى تقبل المعاهدة المقترحة من الفرنسيين والتي تجعل الأمير خارجا عن القانون.

[1]–يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص42.

[2]–القرآن الكريم: سورة الأعراف، الآية 128.

[3]– القرآن الكريم: سورة الأعراف، الآية 127– 128.

المطلب الثاني: دور ليون روش في العلاقات الجزائرية المغربية (1845- 1847م)

كانت سياسة الجنرال بيجو الحربية التي اتبعها (سياسة الأرض المحروقة) منذ توليه منصب الحاكم العام في الجزائر يوم 22 فيفري 1840م لها الأثر الكبير في تراجع مقاومة الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري[1] حيث أدت بالأمير إلى اللجوء إلى المغرب الأقصى مرتين قبل معركة إيسلي 1844م[2]، الأولى كانت في شهر مارس 1842م بعدما سيطرت القوات الفرنسية على معظم المناطق الإستراتيجية للأمير مثل تلمسان في جانفي 1842م[3]، وغيرها من المناطق، والثانية كانت بعدما سيطر الفرنسيون على دائرة الأمير (الزمالة)، حيث تمكن الدوق دومال من الانتصار في معركة الزمالة بتاريخ 22 ماي 1843م بمساعدة عمر العيادي بن الفراج الذي أخبر الفرنسيين بمكان اختباء الزمالة[4].

بعد استيلاء القوات الفرنسية على الزمالة وتدميرها، أعلنت فرنسا نهاية الحرب وهزيمة عبد القادر من دون أن تقيم حساب لقدرة الأمير على العودة إذ اعتمد إستراتيجية للتنقل السريع، من خلال الاعتماد على زمالة مصغرة ألا وهي الديرة.[5]

ومن جهة أخرى واصل ليون روش مهمته في تشتيت المسلمين من حول الأمير عبد القادر معتمدا في ذلك على معارفه من أتباع كل من الطريقتين التيجانية والطيبية اللتين تكنان عداء قديما للأمير، وكثف نشاطاته خلال سنتي (1842- 1843م) (1258-

---

[1]- بسام العلي، الأمير عبد القادر الجزائري (1300-1222هـ / 1807- 1883م)، ط3. دار النفائس، بيروت، 1406هـ/ 1986م، ص138.

[2]- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ ،ج3 نط2 ،دار الرشاد الحديثة ،الدار البيضاء، 1415هـ/ 1994م، ص199.

[3] - Abdelhamid Halim:le nord de l'oriental marocain ،thèse doctorat en Géographie ،université francois- Rabelais ، dirigée par : Anne – marie FREREoT ، 19/12/2008 ،p24.

[4]- ناصر الدين السعيدوني، عصر الأمير عبد القادر، مكتبة الإسكندرية ،2000 م، ص167.

[5]- مصطفى خياطي ،الأمير عبد القادر سجين فرنسا ،ص40.

1259هـ) حيث يعود له الفضل في انتصارات الدوق دومال على زمالة الأمير، ليفوز بنيله مكافئة المارشال له برتبة فرقة الشرف[1].

في هذا الوقت يصبح ليون روش المترجم الرئيسي الأعلى للجيش الإفريقي، ومن أبرز رجال فرنسا إلى جانب الجنرال بيجو الذي استمر في مطاردة الأمير على الحدود الجزائرية المغربية، حيث أن الأمير كلما كان يجد نفسه أنه محاصر من طرف القوات الفرنسية يدخل القطر المغربي وذلك ليتزود بالأسلحة والذخيرة والمؤونة، حتى أن بعض القبائل المغربية دخلت تحت لوائه[2]، وعرضت عليه مبايعته، إلا أنه رفض ذلك وقال

<< ... إني دخلت بلاد السلطان لا لأكون ضده أو لأخذ منه ملكه فهذا لا يقول به عاقل، وإنما دخلت بقصد الاحتماء...>> حيث يتبين لنا من هذا القول أن الأمير كان هدفه الأساسي من اللجوء إلى المغرب هو إكمال المقاومة ضد الفرنسيين وتطهير الجزائر من المحتلين[3] .

ونظرا للعمل الكبير الذي قام به الأمير على الحدود الجزائرية المغربية جعل السلطات الفرنسية في حالة اضطراب مستمر[4]، هنا فكر المارشال بيجو في محاصرة الأمير والضغط عليه من الغرب فطلب من روش مهمة جديدة هي مساعدة الجنرال "دي لاريد " وذلك لوضع خريطة جغرافية يبين فيها الحدود الجزائرية المغربية وذلك اعتمادا على الوثائق العثمانية، أما روش فقد كان يمارس أعمال الجوسسة حيث نظم جهاز مخابرات مع الأهالي الموالين لفرنسا، حيث دس عيون له داخل الجيش المغربي في مركز لالا مغنية بقيادة الأمير

---

[1]- Roches، 32ans ، t2 pp260 – 262.

[2]– ومن ذلك قبيلة بني يزناسن في الجبال الواقعة في الغرب الجنوبي من مدينة وجدة وقبيلة أنقاذ في شمال نفس الجبال. حيث وجد الأمير المساندة من هاتين القبيلتين حتى أن أحد مرابطيها أعلن الجهاد باسم الأمير سنة 1844م ضد القوات الفرنسية . أنظر jaques cqil، une mission de Léon roches 1845 Casablanca 1947 thèse pp77-78

[3]– يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح، الدار العربية للكتاب، تونس، 1983م ،ص64.

[4]– ثريا برادة، الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية رسائل الأطروحات، رقم 37 ،جامعة محمد الخامس، الرباط ،1997م، ص195.

مولاي محمد بن مولاي عبد الرحمن[1] حتى أنه لما كان هذا الأخير يعقد اجتماعا سريا مفاده مساعدة الأمير عبد القادر، كان أحد رجال روش حاضرا يصغي فأفاده بكل القرارات التي اتخذت في هذا الاجتماع[2].

وهذه الجواسيس كانت في كل مدينة منها " وجدة – تازة " وبهذا تعرف روش من خلال معلومات جواسيسه حول عدد الجيش المغربي وعدته وفعاليته وأسلحته[3]. وأيضا اكتشافه لمراسلات محمد مولاي السرية مع أبيه، ومن بينها رسالة يأمره فيها بالتوقف في مدينة تازة وينصحه بإقامة السلم مع فرنسا، وذلك لضعفه وأن يعمل على إبعاد الأمير عبد القادر ومطاردته دون جلب نظر القبائل حسب روش[4].

وبذلك تحمس المارشال بيجو " بعد اطلاعه على هذه الرسائل " إلى مضايقة الجيش المغربي ، وأمر الأمير جوانفيل بقنبلة مدينتي " طنجة– والصويرة"[5] وعقده معاهدة سلم مع الأمير محمد مولاي في 10 سبتمبر 1844م سميت بمعاهدة " طنجة " حيث اشترط بيجو على أن تتعهد الحكومة المغربية بمنع المساعدات على الأمير عبد القادر وطرده من القطر المغربي أو عزله ونفيه في إحدى المدن في جنوب المملكة[6].

في هذا الوقت كتب السلطان مولاي عبد الرحمان إلى الأمير يطلب منه حل جيشه ويستدعيه عنده متعهدا إياه بإكرامه، وقد كلف بذلك الشيخ حميدة قائد مدينة وجدة بإرسال

---

[1]– هو أبو زيد عبد الرحمان بن هشام ولد عام 1204هـ وبويع له بفاس بعهد من عمه السلطان سليمان في 16 ربيع الأول 1238هـ الموافق ل 11 ديسمبر 1822م، كان له اعتناء بالعلم وذويه شأن سلفه الصالح واهتمام كبير بتنظيم التعليم وترتيب الدروس، ومن آثاره بفاس تحصينها بالآلات الحربية وتوفي بمكناسة الزيتون في 28 أوت 1859م، أنظر: عبد الرحمان ابن زيدان، الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، الطبعة الاقتصادية، الرباط، 1356هـ/ 1937م، ص ص 79. 82.

[2]- Roches ، 32 ans ، t2 pp 390- 393.

[3] -Roches، op، cit، T2.pp 390- 393.

[4]- jaques cqil ، une mission de Léon roches 1845 Casablanca 1947 ،e pp411-414.

[5]– أبو العباس، أحمد بن خالد، الناصري السلاوي، كتاب الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، الدولة العلوية ، الجزء التاسع، تحقيق وتعليق ولدي المؤلف جعفر ومحمد الناصري ، الدار البيضاء، 1956،ص53.

[6]– نفسه، ص55.

وفد إلى الأمير يطلب منه الابتعاد عن حدود المغرب ويهدد القبائل المغربية التي تساعد الأمير عبد القادر، ولما أبدى الوفد فشله كتب السلطان مولاي عبد الرحمن إلى الحكومة الفرنسية يقول لها إيفاد جيش لمحاربة الأمير، العدو المشترك ولكنه متخوف من اندلاع الفوضى والاضطرابات في مملكته، وما أدى إلى هذا الرأي هو تمسك القبائل التي أوت الأمير إليها ولن تفرط فيه ولو حاربت سلطان المغرب لذلك فضل مواجهة الموقف بالطرق السلمية[1].

ولهذا نستنتج أن فرنسا قد حصلت على انتصارات سياسية وعسكرية وهذا بفضل ليون روش ونشاطاته المتواصلة في متابعة الأمير والضغط عليه ومحاصرته داخل التراب المغربي، ليتسنى لها بذلك مضايقة مولاي عبد الرحمن ووضعه أمام الأمر الواقع للوفاء بوعوده.

في ظل هذه الظروف كان كل من دي لاري والرائد مارتمبرى (marrimprp) بتسطير الحدود الجزائرية المغربية بناء على الوثائق العثمانية وتم اختيار ليون روش للدخول في محادثات مع سيدي حميدة بن علي، وسيدي أحمد بن الخضير، ممثلي السلطان في مدينة وجدة، وكلف روش بتحضير الأسس التي سيتم عليها تحرير بنود المعاهدة. واستطاع إقناع مفوضي السلطان بحتمية وضع الحدود الجزائرية المغربية وفقا للوثائق العثمانية ليتم السلم نهائيا بين فرنسا والمغرب[2].

إن الأحداث التي طرأت على العلاقات المغربية الفرنسية عقب لجوء الأمير عبد القادر إلى المغرب كانت سببا في عقد اتفاقية لالة مغنية، وذلك بعد مفاوضات عديدة، وقع الجنرال دي لاري وممثلو السلطان على مشروعي المعاهدة في 18 أوت 1845م في مركز لالة مغنية. وعرفت المعاهدة باسم لالة مغنية، ويعتبر الجنرال دي لاري هو الذي قام بتحرير

[1]– يوسف مناصرية ، المرجع السابق، ص55.

[2]– نفسه، ص40.

المشروعين، ينص المشروع الأول على تسطير الحدود الجزائرية المغربية طبقا للوثائق العثمانية، والاعتراف بسلطة فرنسا على الجزائر، وحقها في متابعة القبائل الجزائرية الخارجة عليها داخل التراب المغربي. وينص المشروع الثاني على حرية التجارة البرية بين فرنسا والمغرب[1].

وفي هذه الفترة سافر ليون روش إلى باريس وذلك ليحصل على موافقة " لويس فليب " على بنود المعاهدة، ولكن في نفس الوقت رفض سلطان المغرب " مولاي عبد الرحمن " المصادقة عليها، لأنه كان يرى فيها إهانة لكرامته وتهديد لمصالحه الاقتصادية كما أنه اعتبرها مخالفة للشريعة الإسلامية[2].

كما أن الجنرال دي لاري في الجزائر ينتظر عودة روش من باريس. وما إن علم برفض السلطان المغربي حتى أسرع إلى إرسال روش، اثر عودته من باريس في 12ماي 1845م إلى طنجة لبحث المسألة من قريب مع المسؤولين المغاربة، ويطلب منهم إرسال سفارة إلى باريس للتعرف على وجهة نظر الحكومة الفرنسية، وتوثيق العلاقات الفرنسية-المغربية[3].

ومن هنا بدأ روش ينظم اتصالاته في طنجة ليكشف عن الأسباب الحقيقية التي أدت إلى منع السلطان من المصادقة على مشروعي المعاهدة. واستعان في ذلك بخبرة السيد جياكومودي مارتينو (Giacomo de martino)، قنصل نابولي في طنجة. وجاء في رسالته إلى الجنرال دي لاري بتاريخ 17 ماي 1845 أن الحاجز الوحيد الذي منع سلطان المغرب

---

[1]- يوسف مناصرية ، المرجع السابق ، ص40.

[2]- قال روش أن سبب رفض السلطان المغربي المصادقة على معاهدة لالا مغنية يرجع إلى تدخلات القنصل الانجليزي في طنجة حيث أن هذا الأخير كان يرى في الاتفاقية المس بمصالح بلاده كما أنه يقول أيضا أن سلطان المغرب رضخ لاحتجاجات الأمير عبد القادر بواسطة أصدقائه في بلاط فاس وباسم الفيالق المغربية للمزيد أنظر . Roches ; 32 ans ; t2 pp 451-452

[3]- يوسف مناصرية ، المرجع السابق، ص48.

من المصادقة على المعاهدة هو مشروع الاتفاقية التجارية. لأن موافقة مولاي عبد الرحمن على حرية التجارة البرية بين فرنسا والمغرب سوف تؤدي إلى فتح نفس الطريق بينه وبين إسبانيا وانجلترا. فتغرق بذلك السوق المغربية بالبضاعة الانجليزية دون أن تدفع هذه حقوق تجارتها[1].

وبما أن روش كان يعلم أن الهدف الأساسي للعسكريين الفرنسيين هو القضاء على الأمير عبد القادر، اقترح هذا الأخير على الجنرال دي لاري بث دعاية مفادها أن الملك الفرنسي وقع فقط على مشروع مسألة الحدود، ورفض المصادقة على مشروع الاتفاقية التجارية، وأجل المفاوضة فيه إلى ما بعد مراجعة بنود المعاهدة. وكانت هذه خطة اخترعها روش لكسب مصادقة السلطان على مشروع وضع الحدود الجزائرية المغربية، وإجباره على تنفيذ ما تعهد به لفرنسا ضد الأمير وقبائل المغرب الريفية، وبعد موافقة الجنرال دي لاري على هذا الاقتراح، وأرسل لروش توقيعه على نص الخطة، اعتمد على أسلوبه الخاص في محادثاته مع السيد أبي سلهام بن علي مفوض السلطان في طنجة، علما أن روش كان يفاوضه باسمه الشخصي فإذا تضاربت آراءه (روش) مع أراء حكومته سهل على هذه الأخيرة أن تحمله المسؤولية فلا يكلفها ذلك سوى تعيين ممثل لها بدله. ولكن فيما بعد اضطربت الأحوال بين روش وأبي سلهام، حين تصل روش برسالة من محمد بن إدريس وزير السلطان موجهة إلى الجنرال دي لاري يخبره فيها بمصادقة السلطان على مسألة الحدود، وكان روش ينتظر الرد عن طريق أبي سلهام، في حين تصل هذا الأخير أوامر من السلطان بإعادة تحرير نص المعاهدة. حينئذ لجأ روش إلى استخدام ذكائه وأخذ المبادرة في التوقيع على رسالة للسلطان جاء فيها أن سلطان المغرب يعترف ببنود معاهدة لالا مغنية

[1]– يوسف مناصرية ، المرجع السابق ،ص 48.

الخاصة بمسألة الحدود وفقا للوثائق العثمانية، ويوافق على عدم فعالية الاتفاقية التجارية إلى أن تفتح المفاوضات من جديد بينه وبين الملك الفرنسي[1].

وقد كان قصد روش من توقيعه شخصيا على نص الرسالة هو ترك باب المفاوضات مفتوحا أمام الجنرال دي لاري وذلك في حالة رفض السلطان المصادقة على مطالبه، وجاء في رسالة روش إلى الجنرال دي لاري بتاريخ 20 جوان 1845م أن مولاي عبد الرحمن قد صادق على نص رسالته بما فيها البد الثالث والرابع والخامس من معاهدة لالا مغنية التي تنص على اعتراف المغرب بسلطة فرنسا على الجزائر، وحق متابعة القبائل الجزائرية داخل التراب المغربي[2].

ومن هنا نقول أن الدبلوماسية الفرنسية انتصرت في الأخير على حساب قلة خبرة رجال حكومة المغرب بالشؤون السياسية، وإلا كيف نفسر مصادقة السلطان أو حتى ممثلين، على نص رسالة حررها مجرد ممثل بسيط؟ فلقد كان من المعقول أن يطالبه السلطان وممثلوه بنص المعاهدة الأصلي الذي يحمل توقيع الملك الفرنسي على مشروع مسألة الحدود، وتأجيله (المزعوم) لمشروع الاتفاقية التجارية. إن الملاحظ على موقف سلطان المغرب هو أنه رفض التوقيع في البداية تحت ضغط الانجليز والإسبان الذين يرون في الاتفاقية التجارية المس بمصالحهم الاقتصادية وحتى السياسية. وربما كانوا قد اقترحوا عليه التوقيع فقط على مشروع مسألة الحدود، وهو الأمر الذي تركه يصادق عليه دون مناقشة. بعدها عاد روش إلى الجزائر ليبلغ بانتصاراته المتكررة مرتبة كبيرة في نفوس العسكريين الفرنسيين حتى أشاد به كل من دلاري والمارشال بيجو لدى السيد جيرو (Guizot) وزير الخارجية الفرنسي آنذاك.

---

[1]– يوسف مناصرية ، المرجع السابق ، ص ص48– 49.

[2]– نفسه، ص49.

حيث أن روش لما وصل إلى مدينة الجزائر قادما من طنجة على متن باخرة " تيتان" صحبة الجنرال دي لاري بتاريخ 5 جويلية 1845م أوفده هذا الأخير في نفس اليوم إلى باريس حاملا نص معاهدة لالا مغنية التي صادق عليها مولاي عبد الرحمان، وبقي دي لاري في الجزائر ينتظر لإتمام المهمة التي كلف بها في طنجة، حتى أن بيجو طلب من جيزو تعيين روش في منصب قنصل فرنسا في طنجة[1].

ومع ذلك استمرت المحادثات الفرنسية المغربية لتوطيد العلاقات بين الدولتين. وأرسلت الحكومة الفرنسية ليون روش مرة ثانية إلى طنجة في شهر أوت 1945م(1261هـ) من أجل تكوين سفارة مغربية توفد إلى باريس لبحث مستقبل العلاقات بين فرنسا والمغرب. وأرسل السلطان المغربي من جهته أحد بني عمومته المدعو سيدي محمد بن سلطان سرور إلى الجزائر في أواخر شهر أوت من نفس السنة ليشرح للمارشال بيجو مواقف المغرب الودية اتجاه سياسة الحكومة الفرنسية ويعمل معه على إقامة السلم على الحدود الجزائرية المغربية. في هذا الوقت الذي كانفيه الجيش الفرنسي تحت قيادة الجنرال لاموريسيار مطمئنا على نفسه في الإقليم الوهراني، باغته الأمير عبد القادر بهجومات عنيفة في خريف سنة 1845م. وتمكن من القضاء على فرقة الكولونيل مونتانياك وقُتل هذا الأخير في معركة سيدي إبراهيم في 23 سبتمبر، وأسر الملازم الأول مارين على رأس فرقة متكونة من مائة جندي، فانبعث بذلك الأمل في نفوس المسلمين، وقامت مناوشات وبوادر الثورة على الفرنسيين في بعض أنحاء البلاد. عندها تخوفت الحكومة الفرنسية من آثار هذه الأحداث وأمرت ماريشال بيجو بالعودة إلى الجزائر لتنظيم شؤون البلاد، في حين ذلك كان الجنرال لاموريسيار قد قرر متابعة الأمير داخل التراب المغربي والوصول إلى دائرة ملوية ومعاقبة القبائل المغربية التي تسانده[2].

[1] - Roches ،32ans .t2 ،pp460- 466.

[2] – جيدل عبد العزيز، المرجع السابق، ص40.

وأصبح هذا القرار رسميا لما كاتبت الحكومة الفرنسية قنصلها في طنجة، السيد دي شاستو تأمره بأخذ قرار متابعة الأمير داخل المغرب. غير أن المارشال صولت وزير الحربية استفاد هو الآخر من نصائح روش ودي شاستو، اللذين حذراه من خطورة الموقف، فأمر المارشال بيجو بالتوقف في مدينة ملوية والرجوع إلى التراب الجزائري بعد القضاء على دائرة الأمير.

كما كان لنصائح روش الأثر الكبير على سياسة فرنسا الخارجية تجاه المغرب، ومنها أن روش كان يرى في تدخل فرنسا عسكريا فرصة سوف يغتنمها الأمير، وذلك ليكون مملكة مستقلة في وجه فرنسا وسلطان المغرب معا، لذلك كان روش يفضل مواجهة الموقف سلميا واستعمال الأسلوب الدبلوماسي مع مولاي عبد الرحمان، ونظرا لسوء الأحوال في موقف فرنسا تم تقرير إيفاد ليون روش مرة أخرى إلى طنجة وذلك في شهر نوفمبر 1945م حيث حمل معه شروط جديدة لسلطان المغرب[1].

ومن أهمها أن يرسل مولاي عبد الرحمان فرقة من جيشه إلى شرق البلاد تحت قيادة أمرائه من أقاربه، لإخضاع قبائل الريف وأن يعين السلطان القائد "ابن عبو" على قبائل الريف وإرسال سفارة مغربية إلى باريس لبحث العلاقات الفرنسية المغربية. كما أن روش أضاف إلى هذه الشروط مطلبا مفاده أن السلطان يتعهد بالبقاء في مدينة الرباط حتى إيجاد حل نهائي للأزمة القائمة، نظرا لتلقي السلطان مولاي عبد الرحمان أخبار معارك الغزوات مابين الأمير والجيش الفرنسي قرر الخروج من الرباط والاستقرار في مدينة مراكش- التي كان يطلق الفرنسيون عليها اسم "مروك" وذلك لتفادي مضايقة الفرنسيين له[2].

[1]- جيدل عبد العزيز ، المرجع السابق، ص40.

[2]- يوسف مناصرية ، المرجع السابق، ص51.

لما وصل روش إلى طنجة وتقابل مع السيد دي شاستو، سلم له رسالة إلى محمد بن دريس وزير السلطان يطلب منه استقبال روش ومساعدته في مهمته لدى السلطان وقول شروط فرنسا مترجيه في ذلك. وعند وصول روش إلى مدينة الرباط على متن

الباخرة "ميتور" استقبله ابن إدريس بحفاوة واكرام وعرض عليه روش مطالب فرنسا المذكورة آنفا، كما حدث روش ابن إدريس عن إشاعة أخبار حول عدم إبلاغ رسائل الحكومة الفرنسية للسلطان وأنه أتى ليتأكد من ذلك ولينال موافقة السلطان عن مطالب بلاده وإعطاء الشروط مكتوبة. ونحن نقول أن هذا الكلام من قبل ليون روش كان مجرد افتراء وكذب وتلك هي دبلوماسيته لمخادعة ابن إدريس ويبرر مجيئه إلى الرباط، مع العلم أنه هو الذي قام بتوقيع الرسائل باسم السلطان المغربي وهو الذي لم يحصل على توقيع لويس فيليب على رسائل نص المعاهدة وغيرها واستعمل كل هذه المعطيات ضد ابن إدريس، وليرفع روش من شأن فرنسا. وفي نظر ابن إدريس عمل روش على إضعاف عمل انجلترا مع أن سفير هذه الأخيرة قدم المساعدة لروش – ونحن نستغرب هذا الموقف ربما يكون من ورائه مصلحة معينة – وقد قال لابن إدريس وهو يسلم له رسالة القنصل "هاي" أن فرنسا تربطها علاقات قديمة مع المغرب، وما رسالة القنصل الانجليزي إلا أمانة فقط وليست وساطة سياسية[1]. ومن هنا نستنتج أن كلام روش يثبت أن فرنسا دولة قوية مثل انجلترا ولديهما علاقات وثيقة تربطهما المصالح المشتركة، وبهذا استطاع روش أن يمحو التفوق الانجليزي الذي يشعر به المغاربة من جهة ومن جهة أخرى تنبيه ابن إدريس أن انجلترا ليس لديها موقف معادي من مطالب فرنسا بل تباركها.

ومن هنا أراد ابن إدريس إزالة شكوك روش في عدم إبلاغ مطالب السلطة الفرنسية فأحضر له في اليوم التالي توقيع مولاي عبد الرحمان على المطالب التي قدمها له روش.

[1]– يوسف مناصرية ، المرجع السابق، ص52.

وما إن استلم روش المصادقة حتى طلب من ابن إدريس أن يلتمس له مقابلة السلطان ليتمكن بذلك من مواجهة الرأي العام الفرنسي، الذي يقول أنه أصر على اتهام السلطان بمخادعة الحكومة الفرنسية، فأقنع ابن إدريس السلطان باستقبال ليون روش في 21 نوفمبر 1945م، ولما دخل روش على السلطان بادره بقوله أن الأمير عبد القادر يهدد عرش المغرب أكثر مما يهدد فرنسا نفسها، لأن هذه الأخيرة قادرة على أن تمنعه من دخول الجزائر، وأنها أتت الآن لتضع نفسها في خدمة السلطان للقضاء على العدو المشترك وتعمل معه على إخضاع القبائل المغربية التي تساند الأمير، ثم قال أنه << يجب تدعيم المحبة بين فرنسا والمغرب، وأن ذلك لا يكون إلا إذا قدم السلطان أدلة قاطعة تعبر عن حسن نيته وإرادته لتقتنع فرنسا بأن رسائلها وصلت إلى مسامع السلطان وكل شيء يسير بأمره >>.

ومن هنا وقع مولاي عبد الرحمان في فخ ليون روش وذلك لكي لا يجد مبررا للهروب إلى الأمام ويتجنب تنفيذ وعوده، وتعهد لروش بالعمل مع فرنسا وإقامة السلم وإرسال جيشه ضد الأمير عبد القادر لإضعاف قوته، كما وافق على تعيين "ابن عبو" باشا طنجة على

إقليم الريف وذلك لما فيه من قدرة على تحمل المسؤولية، كما سلم لروش رسائل موجه لكل من الملك لويس فيليب والمارشال بيجو ودي شاستو[1] وممثل عرشه في طنجة السيد أبي سلهام يخبره فيها بالإجراءات التي اتخذها.ومن هنا نستنتج أن مولاي عبد الرحمان قد قدر فعلا مولاي عبد الرحمان قد قدر فعلا قوة فرنسا، خاصة منذ أن قنبلت قواتها مدينتي طنجة

[1]– سلم مولاي عبد الرحمان قيادة نصف جيشه إلى ابن عمه مولاي إبراهيم ابن عبد المالك، وأمره بالتوجه إلى شرق البلاد لمساعدة الطال بن حميدة والشيخ أبو زيان الشاوي الفتاوى ضد الأمير عبد القادر فخرج الجيش من مدينة فاس في الأسبوع الأول من شهر ديسمبر 1845م، ودخل في معركة ضد الأمير عبد القادر سنة 1846م وسنة 1847م على رأس جيش من ألف فارس، أنظر يوسف مناصرية، ، المرجع السابق، ص80.79.

والصويرة[1] سنة 1844م، دون أن تحرك انجلترا ساكنا، وأيضا شعوره بالضعف من الداخل كان سببا في سرعة مصادقته على شروط الحكومة الفرنسية والموافقة على كل ما تقدم به روش.

وعمل روش اثر عودته إلى مدينة طنجة، في أواخر شهر نوفمبر 1845م، على كسب عطف المغاربة تجاه فرنسا، وكان الوزير ابن إدريس قد ألحق به رسوله سي محمد بن سليمان يخبره بأن قبائل بني يزناسن رفضت الجهاد تحت أي لواء بدون أمر السلطان مولاي بن عبد الرحمن، وهو ما يؤكد إخلاص حكومة المغرب في تنفيذ تعهداتها لفرنسا[2].

زيادة على سذاجة العرب وتصديقهم لكل ما يقال لهم هنا استعمل روش أسلوب آخر وهو متعود عليه منذ أيام إقامته مع الأمير ورحلته إلى المشرق (الحجاز) وقصة الفتوى، وهو استعمال النقود لرشوة الناس وشراء الذمم، مثل ما فعل مع سي محمد بن سليمان حين وضع في يديه عددا من النقود الذهبية مخبرا إياه أنها مكافأة له وأن " كل واحد يعطى حسب مقدرته وأنا بعيد أن أعطي كثيرا "، وأن الحكومة الفرنسية سوف تقدم للوزير ابن إدريس مكافأة تناسب مقامه واعترافا منها لمساعدته لروش في أداء مهامه[3].

وكان روش يقصد رشوة رجال حكومة المغرب تحت غطاء الهدايا والمكافآت، ونستنتج من عبارة {{ وأنا بعيد على أن أعطي الكثير }} أنه يرمي إلى أن الحكومة الفرنسية قادرة على أن تقدم للمغاربة أموالا طائلة إذا ما أخلصوا لها المودة والولاء.

---

[1]– قام الجنرال دو جوانفيل بقصف مدينة طنجة في6 أوت 1844م واستمر القصف لمدة 9 ساعات وكان الهدف من هذا القصف هو منع السلطان المغربي من مساعدة الأمير، أما الهجوم الأخطر فكان على الصويرة في 15 أوت حيث هوجمت مدفعيتها مما أدى إلى تدمير مدفعيتها كليا. أنظر: إسماعيل حامت، الحكومة المغربية واحتلال الجزائر، إع وتق علي تابليت، الجزائر، تر زكي مبارك ومحمد لخواجة ، منشورات ثالة، 2011م، ص70.

[2]– يوسف مناصرية ، المرجع السابق، ص53.

[3]– جيدل عبد العزيز، المرجع السابق، ص43.

وعندما كان ابن عمو متخوفا من عواقب تعيينه على قبائل الريف " ليون روش" كان يقوي عزيمته مخبرا إياه أن السلطان ما اختاره إلى هذه المهمة الصعبة إلا ثقة منه في قدرته على قمع الفتن، كما وعده بأن فرنسا ستساعده عسكريا وتقف إلى جانبه كلما احتاج لها، ليقدم له وذلك بالاشتراك مع دي شاستو مبلغا ماليا قدره 40 دوبلون[1]، وقد كتب روش إلى الحكومة الفرنسية يقترح عليها تقديم مبلغ 15 أو 20 ألف فرنك سنويا إلى " ابن عمو" لمساعدته على القيام بمصالح فرنسا في المغرب[2].

ولما علم روش بعزل السلطان لابن حميدة عن ولاية وجدة بطلب من القبائل المغربية، أسرع إلى مراسلة ابن إدريس بتاريخ 30 نوفمبر 1845م، بطلب منه ضم هذه الولاية إلى قيادة ابن عمو، واقترح عليه خطة تنظيمية يجب على ابن عمو أتباعها، وهي أن يعين نائبين له من الأهالي الأول يقيم في وجدة، والثاني في " قصبة سلوان " قرب مدينة " وليلي" وبذلك يسهل عليه التحكم في القبائل كما أشار روش على ابن عمو أن ينتهج سياسة القوة (مع الأهالي) هذا من جهة وسياسة الخداع من جهة أخرى، وهذه الأخيرة لا يمكن له أن يطبقها إلا برشوة شيوخ القبائل[3].

مما سبق يمكن القول أن هدف ليون روش الأساسي من ضم ولاية وجدة لإقليم الريف تحت قيادة ابن عمو، هو محاصرة الأمير عبد القادر والقضاء على مصدر قوته التي كان يستمدها في المغرب من ولاء القبائل الريفية له.

---

[1]– هناك ثلاثة أنواع من الدوبلان واحد يساوي 20 فرنك و38 سنتيما والثاني مابين 71 و40 فرنك والثالث يساوي 51 إلى 81 فرنك. أنظر: يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص80.

[2]– ابن عبو كان رجلا فقيرا، كثير العيال (الأطفال) أجره ضئيل لذلك اغتنم نفوذ منصبه ولجأ إلى جمع المال من الأهالي لذلك تحسنت وضعيته المالية في طنجة، وعندما عين على إقليم الريف ساءت حالته واشتكى ذلك إلى قنصل فرنسا في طنجة، لذلك كان روش مطلعا على كل ذلك وساعدته هذه المعلومات على استعمال الرشوة كسلاح ضد هذا النوع من الناس. أنظر: يوسف مناصرية ، المرجع السابق، ص80.

[3]– جيدل عبد العزيز، المرجع السابق، ص44.

وفي رسالة ثانية لابن إدريس، في شهر نوفمبر أيضا، طلب منه روش إرسال قوات مغربية جديدة لمساعدة ابن عمو للسيطرة على قبائل الريف. وقال له أنه يعلم جيدا أن مثل هذه التجهيزات سوف تكلف السلطان مبالغ باهظة، ولذا يرى أن الحكومة الفرنسية سوف لا تتأخر في تقديم جزء من نفقات تجهيز هذا الجيش لأن ذلك سوف يعود عليها بالخير. ويقول أن السلطان إذا انفرد بالإنفاق على تجهيز هذه القوات فإن أموال خزينته سوف تنفذ، ثم ختم رسالته بقوله: << إنني بهذا الاعتبار أعتقد دون أن أمس بكرامتكم، أن السلطان يستطيع الاتكال على أموال حكومتنا>>[1]. والملاحظ هو أن روش كان يريد من راء هذه الاقتراحات كسب نفوذ جديد لفرنسا في المغرب عن طريق الرشوة، ولم تكفه رشوة الولاة مثل ابن عمو، بل تعداه إلى محاولة إغراء السلطان المغربي نفسه بالأموال الفرنسية، وهدفه من هذا هو ربط العلاقة الفرنسية المغربية على المدى القريب والبعيد، وذلك للقضاء على الأمير عبد القادر، وإخضاع القبائل الريفية للسلطان وإجبارها على التخلي عن الأمير. ثم بعد ذلك تملك فرنسا شرعية التدخل في المغرب، وتحق لها الأسبقية في ربطها علاقته معه، وإبعاد النفوذ الانجليزي خاصة، وهو ما كان يرمي له ليون روش على الأمد البعيد[2].

وفعلا استطاع روش أن يقنع السلطان مولاي عبد الرحمان بإرسال سفير له إلى باريس لبحث مستقبل العلاقات الفرنسية المغربية، واصطحب ليون روش السفير المغربي الحاج عبد القادر بن محمد إشعاع إلى باريس ما بين 7 و11 ديسمبر 1845م[3]. وفي

[1]– رسالة ليون روش إلى ابن إدريس في 30 نوفمبر 1845م أنظر: يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص80.

[2]– يوسف مناصرية، المرجع السابق ، ص55.

[3]– سافر القائد إشعاع إلى باريس على رأس الوفد لمغربي وهو يحمل رسالة من السلطان إلى الملك الفرنسي وبقي الوفد هناك 7 أسابيع تم خلالها غسل عقول الجميع في متاحف باريس وملاهيها وقصورها، وملذات العيش فيها، فانبهر إشعاع وصحبه وعاد بما لا عين رأت ولا أذن سمعت، وصرح للسيد دي شاستو قنصل فرنسا في طنجة قائلا: " لو أني شرحت لحمي لتغذية ممثل فرنسا وأرقت دمي لينهل منه فإن ذلك سيكون ضئيلا جدا... إذا ما أردت أن أبرهن للجميع على مدى ما يغمرني من الاعتراف بعطف سلطان الفرنسيين الأعظم..." أنظر: محمد داود، تاريخ تيطوان، القسم الثالث، المجلد الثالث، تطوان 1962، ص 295. 296. 391. 392. نقلا عن جيدل عبد العزيز، المرجع السابق، ص45.

حين ذلك نالت الدبلوماسية الفرنسية انتصارات في المغرب، كان الأمير عبد القادر ينظم غزوات متتالية في الجزائر، وزحفت القبائل المساندة له نحو الحدود الجزائرية المغربية. وبذلك اضطربت الأحوال في منتصف شهر مارس 1846م (1262هـ) ولم يستطع ابن عمو السيطرة على قبائل الريف ووقع الخلل داخل جيشه بسبب النقص في (الأسلحة والمؤن، وعلف الخيول...) وازداد أمر ابن عبو ضعفا خاصة بعد الخلافات التي وقعت بينه وبين مولاي إبراهيم قائد جيش السلطان، وكان السبب فيها مرابطي المنطقة الريفية الساخطين على ابن عبو. فاشتكى ها أمره إلى القنصل دي شاستو، وكان مولاي عب الرحمان متخوفا من إثارة قبائل شرق البلاد ضده. فاغتنم دي شاستو هذه الفرصة وقرر ايفا دروش مرة أخيرة إلى الرباط في شهر أكتوبر 1846م، لإجبار السلطان على أخذ قرار حاسم وفعال ضد القبائل الريفية لإعادة السلم في المنطقة[1].

وكانت الحكومة الفرنسية قد وضعت ثلث الجيش الفرنسي " 110.000 رجل " تحت تصرف المارشال بيجو للقضاء نهائيا على مقاومة الأمير عبد القادر. وكان ليون روش قد عين في السلك الدبلوماسي نهائيا في شهر فيفري 1846م وتمسك برأيه القائل" أن دخول فرنسا في حرب ضد القبائل الريفية الخارجة على السلطان المغربي، فرصة سانحة أمام الأمير ليكتل القبائل من حوله ويجابه بها فرنسا والمغرب معا، فتنتشر الفوضى بعدها في البلاد ويتعسر الأمر بعد ذلك على فرنسا في القضاء على الأمير. وفضل روش الطرق السلمية وعمل كل ما في وسعه ليجنب فرنسا هذه الحرب ويجعل السلطان المغربي يدخلها وحده،كما عمل روش قبل أن يوجه إلى الرباط، على إغراء القائد أبي سلهام بن علي، ليتدخل لدى السلطان ويكسب القضية لصالح فرنسا. ليحبك روش خطة لرشوة السلطان أيضا عن طريق أبي سلهام ودخل معه في محادثات سرية باسمه الشخصي أبعد دي شاستو لكي لا يشك مفوض السلطان في مخادعة الفرنسيين، وتعتبر المسألة رسمية من

[1]– يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 55. 56.

طرف الحكومة الفرنسية، غير أن أبي سلهام أصر على كتمان الأمر آنذاك نظرا لتعكر الأمور، وتأجيل ذلك حتى ينتهي السلطان من حل الأزمة القائمة. وتعهد أبي سلهام في الأخير أنه سيفاتح السلطان في مسألة تزويد فرنسا له بالمال، وقال أن أمله كبير في أن تكون النتيجة إيجابية[1].

لما وصل روش إلى الرباط، توصل إلى إقناع مولاي عبد الرحمان بخطورة الوضع الذي يهدد عرشه، حتى أن السلطان اعتبر الأمير عبد القادر هو السبب الرئيسي في تصاعد المخاطر ضد عرشه فانتهى إلى إرسال قواته في الأشهر الأخيرة من سنة 1847م للقضاء على الأمير، وإخضاع القبائل المغربية، والعمل على مضايقة القبائل الجزائرية وإجبارها على الرجوع إلى الجزائر والدخول تحت سيطرة الجنرال لاموريسيار. وقد تم ذلك فعلا في أواخر شهر ديسمبر 1847م.

وبذلك انتصر روش في مهمته الدبلوماسية في المغرب، وقد ساعدته ظروف المسلمين وضعفهم كثيرا في تنفيذ آرائه المغامرة التي بدأها بتحرير شروط المعاهدة وصادق عليها السلطان وأنهاها بمحاولة رشوة رجال دولة السلطان، وقد توصل إلى ذلك فعلا. وبكل هذه الانتصارات نجد أنه عين (ليون روش) في السلك الدبلوماسية، إذ عين قنصلا في طنجة سنة 1846م. وشغل نفس المنصب في تونس وطرابلس والنمسا (تريا ستا) واليابان، وانتهى سنة 1870م إلى منصب وزير مفوض تقاعد بعده عن العمل. وكانت مهمته القنصلية في البلدان العربية قد ركزت خاصة على التبشير المسيحي[2].

[1]– يوسف مناصرية ، المرجع السابق، ص 56.

[2]– عبد الجليل التميمي، دور المبشرين في نشر المسيحية بتونس 1830–1881م، مجلة الأصالة، العدد: 29/ 30 ، 1976م– 1396هـ، ص49. 61.

المطلب الثالث: تداعيات مهمة ليون روش

عقب إبرام معاهدة التافنة قام مترجم الجيش الفرنسي ليون روش والذي كان يتقارب في العمر مع الأمير عبد القادر ذو الأربعة وعشرين عامًا آنذاك، باستغلال تلك الهدنة حتى يتقرب من معسكر الأمير، ويقنعه أنه يرغب في الدخول إلى الإسلام والانتقال من الجبهة القتالية الأخرى، إلى جبهته ليعمل تحت لواء المسلمين وساعده إتقانه للغة العربية، في وضع خدماته رهن إشارة الأمير، مما دفع الأخير للاطمئنان له حتى اعتقد المسلمون في إسلامه وعاملوه معاملة حسنة[1].

بعد وصول ليون روش إلى الجزائر في 1832م للمساعدة أبيه في القيام بشؤون مدرسته وقد اضطر لتعلم اللغة العربية ليسهل عليه الاتصال المباشر بالأهالي.حيث كان روش يدرك جيدا مدى حاجة بلاده إلى مترجمين أكفاء ليكونوا وساطة بين الجزائريين والفرنسيين، فدفعه هذا الشعور بالاهتمام بدراسة اللغة العربية واطلاع على عادات وتقاليد المسلمين ونال بذلك مرتبة مترجم محلف لدى اللجنة الإفريقية الأولى سنة1833م ثم عينه ماريشال كلوزيل في منصب مترجم رئيسي محلف في الجيش الإفريقي سنة 1835م، كان روش ميالا للمغامرة فما إن دخل مدينة المدية مع الجنرال دي ميشال حتى استأذنه في الاتصال لمعارفه من الجزائريين واغتنام الفرصة للإطلاع على رؤى الأهالي للباي محمد بن حسين الذي يأمل الجنرال في تأمينه على المدية، إذ تعتبر هذه أول مهمة جاسوسية يقوم بهار وش في الجزائر،وقد توصل في الأخير إلى نصح الجنرال إلى تعيين هذا الباي على المدية أمر لا يخدم مصالح فرنسا... .

حيث اكتسب الجاسوس ليون وش ثقة الأمير عبد القادر هذا الأخير الذي أطلعه على أسراره، ونقاط ضعفه. فصار كاتبا له، ومستشاره، واتخذه رفيقا، وكلفه بمراقبة مسائل

[1]–يوسف مناصرية، المرجع السابق،ص61.

جيشه النظامي، وملابسه وأجوره. وولاه تسجيل أسماء القبائل، وحصر أسماء شيوخها حتى يتمكن من جمع الضرائب بدقة، وسلمه مصنع السلاح. وكان يحضر المجالس السرية للأمير، ومبعوثه للقبائل، وجعله كاتب رسائله ومترجمه، ويقدم له ملخص عن ما جاء في الصحف الفرنسية. فمنحه الأمير عبد القادر وسام "الريشة"، هنا استغل الفرصة وبدأ يراسل الفرنسيين وأخبرهم عن جميع أحوال الأمير والمسلمين السياسية والعسكرية والإدارية والاقتصادية،ثم جعل يبث سمومه وسط المسلمين مبيّن لهم أنه يريد تنويرهم واطلاعهم على الحضارة الفرنسية " الإنسانية "و وهو يقصد بذلك المس بوحدتهم وتشتيت صفوفهم ليتواروا عن محاربة الفرنسيين وقتالهم. فتتمكن فرنسا بعد ذلك من إفراغ كل قواتها على شرق البلاد للقضاء على المقاومة الجزائرية[1].

في كتابه اثنان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام << يعترف ليون روش بخطة اختراقه للأمير عبد القادر فيقول:اعتنقت الإسلام زمنًا طويلًا لأدخل على الأمير عبد القادر الجزائري دسيسة من قبل فرنسا، وقد نجحت في الحيلة. ثمّ بحثت عن تأثير هذا الدين في نفوس المسلمين فوجدته قد ملأها شجاعةً، وشهامةً، ووداعةً، وجمالًا، وكرمًا. إنّه دين المحامد والفضائل، ولو وجد رجالًا يعلمونه الناس حقّ التعليم ويفسرونه تمام التفسير لكان المسلمون اليوم أرقى العالمين>>.

ثم يضيف:<< وجدت بينهم شيوخًا يحرّفون الدين ويمسخون جماله، ويدخلون عليه ما ليس منه، وإنّي تمكّنت من استغواء بعض هؤلاء الشيوخ في القيروان، والإسكندرية، ومكّة، فكتبوا إلى المسلمين في الجزائر يفتونهم بوجوب الطاعة للفرنسيين، وبأنّ لا ينزعوا إلى الثورة، وبأنّ فرنسا خير دولة أخرجت للناس، ومنهم من أفتى بأنّ فرنسا دولة إسلامية أكثر من الدولة العثمانية، وكلّ ذلك لم يكلّفني إلاّ بعض الآنية الذهبية>>.

[1]- يوسف مناصرية،المرجع السابق،ص62.

وتظهر مخادعة روش للمسلمين في إخفاءه محتوى المهمة التي بعثه بها الأمير إلى التيجاني ليخبره أن الأمير ما يريد من وراء حملته على عين ماضي إلا جمع كلمة المسلمين ضد العدو الفرنسي. بل أن روش عمل على تحريض التيجاني على محاربة الأمير من أجل إضعاف قوة المسلمين، ولم يكتفي بهذه العملية التخريبية بل تعداها إلى إضعاف جيش الأمير إلى الداخل أيضا. لم يتفطن الأمير لخيانة روش، حتى لما صارحه بأنه لم يكن مسلما أبدا، هنا لم يتخذ الأمير أي إجراء ضده بل تركه وشأنه وسافر إلى تلمسان.فاغتنم روش فرصة غياب الأمير، وفرّ راجعا إلى الجيش الفرنسي في شهر نوفمبر1839م،بعد أن اطلع على أدق أمور المسلمين السياسية والعسكرية، وعرف سر ضعفهم الذي كان يكمن في اختلاف تعاليم الطرق الدينية التي كانوا يتبعونها[1].

ولما وصل الجنرال بيجو إلى الجزائر سنة 1840م،قدم له روش تقارير مفصلة عن الأحوال السياسية والعسكرية لإقليمي الجزائر ووهران، مكنّت للجنرال من التخطيط بدقة لعملياته المقبلة ضدّ الأمير. فأسند له مهمة الحصول على فتوى من علماء المسلمين تمنع على المسلمين الجزائريين محاربة المسيحيين، فنضمن روش اتصالاته مع التيجاني وحلفاءه وسافر مع قافلته إلى تونس، واستطاع أن يأخذ الفتوى من مجلس علماء القيروان، ثم واصل رحلته إلى مصر والحجاز ودعم فتوته من طرف علماء الأزهر ومكة وبعث بنصها إلى بيجو بالجزائر. عمل هذا الأخير بتوزيعها على القبائل وشاعت أخبارها وأعجب بها المسلمون الذين ضعفت قوتهم وفضلوا الراحة عن الجهاد وصاروا ينادون روش باسم "الحاج عمر ليون"، بهذا أخمدوا شراسة نفوس الجزائريين لمحاربة الفرنسيين .

من هنا أتيحت الفرصة لعمل ليون روش في مشروعه الجوسسي لما كان الجيش الفرنسي في حرب ضد الجيش المغربي على الحدود، فبفضل عيونه المنتشرة مكنته من جمع

[1]- يوسف مناصرية،المرجع السابق،ص63.

المعلومات عن عدد وعدة الجيش المغربي المتمركز في طنجة ووجدة وتازة، مكنت هذه المعلومات بيجو من الانتصار على الجيش المغربي، عاقدا بذلك معاهدة طنجة مع مولاي محمد في سبتمبر1844م، ومنه تعاهد المغرب بمنع المساعدات المادية والمعنوية على الأمير عبد القادر، حيث حرصت فرنسا على تسطير الحدود الجزائرية المغربية طبقا للوثائق العثمانية للضغط على الأمير، لتظهره أنه منتهك للأراضي المغربية بالمفهوم الفرنسي المحتل[1].

أبرم الاحتلال الفرنسي معاهدة لالة مغنية سنة 1845 مع سلطان المغرب، حيث اعترف بموجبها بسلطة الاحتلال الفرنسي على الجزائر، ومحاربة الأمير والقبائل المؤيدة له وملاحقتها داخل التراب الجزائري. وقال روش لسلطان المغرب في نوفمبر 1845: الأمير عبد القادر أخطر على المغرب من فرنسا، وفرنسا تريد تعزيز قوة السلطان وإخضاع القبائل المغربية له. فتعهد السلطان بقتال الأمير، والقبائل المؤيدة له.

طلب روش من سلطان المغرب ضم وجدة لمحاصرة الأمير. وأرسل سلطان المغرب 1000 جندي سنة 1846-1847م لقتال الأمير، تنفيذا لتعاليم فرنسا المحتلة وروش. وكانت فعلا نهاية الأمير نظرا للضغط الفرنسي، والمغربي، وخيانة القبائل الداخلية له.

وهكذا يكون روش قد انتصر في جميع مهامه الجاسوسية والدبلوماسية وقد ساعدته الظروف في تنفيذ أرائه المغامرة، التي بدأها بالالتحاق بالأمير عبد القادر والتجسس عليه وتخريب دولته في الداخل، وأنهاها بكسب ولاء المغرب لفرنسا والقضاء على الأمير من الخارج[2].

---

[1]- يوسف مناصرية،المرجع السابق،ص ص64.65.

[2]- نفسه، ص66.

الخـــاتمة

وفي نهاية بحثنا المتواضع الذي عرضنا فيه نموذج من الجوسسة الفرنسية والمتمثلة في دور ليون روش في اختراق دولة الأمير عبد القادر، حيث توصلنا إلى مجموعة من النتائج وهي:

– واجه الامير تحديين داخلي وخارجي، الأول متمثل في إقامة دولة حديثة موحدة مستقل، والثاني تمثل في التصدي للجوسسة الفرنسية من خلال شن العديد من الحملات العسكرية.

– استغل ليون روش الأوضاع التي كانت تمر بها الجزائر خاصة فترة مقاومة الأمير عبد القادر، بحيث استطاع من خلال عقد معاهدة التافنة سنة 1837م بين الأمير وفرنسا التسلل إلى معسكر الأمير مشهرا إسلامه، مستغلا بعض بنود المعاهدة التي تنص على "اعتراف الفرنسي بسيادة الأمير عبد القادر على المناطق الغربية للجزائر دون المدن الساحلية مقابل السماح للفرنسيين بالإقامة في مناطق سيطرة الأمير"، فأحسنوا استقباله واستطاع روش أن يدبّر موعدًا برفقة الأمير عبد القادر الجزائري من أجل تعليمه مبادئ الصلاة وبعض أحكام الدين الإسلامي وقدم نفسه له، بأنه فرنسي حديث العهد بالإسلام، ويرغب في خدمة الأمير.

– استطاع ليون روش بعد اكتشاف أمره من قبل خليفة تلمسان البوحميدي الولهاصي، وإيجاد أوراق خاصة بالأمير معه، أن تملّص واستعطف الأمير بحجة إسلامه، فعفى عنه واكتفى بمصادرة أملاكه، هذا ما جعله يواصل تنفيذ مخططاته الجوسسية المتمثلة في تدمير البنية التحتية العسكرية لجيش الأمير عبد القادر من مصانع الأسلحة بمساعدة الأسرى الأجانب.

– تمكّن ليون روش من الحصول على فتوى من قبل كبار علماء القيروان ومصر ومكة والطائف، مفادها تحريم محاربة المسلمين للمسيحيين كونهم من أهل الكتاب لا يجوز محاربتهم.

–تمثلت خيانة ليون روش في توغله بمعسكر الأمير عبد القادر ونقل أخبار دولته للجانب الفرنسي، خاصة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ولم يغب عن روش أن ينقل للفرنسيين، التقدير الذي يحظى به الأمير بين أتباعه، خاصة بعد تسطير الحدود الجزائرية المغربية طبقا للوثائق العثمانية للضغط على الأمير، لتظهره أنه منتهك للأراضي المغربية بالمفهوم الفرنسي المحتل. وإبرام معاهدة لالة مغنية سنة 1845م مع سلطان المغرب، واعتراف هذا الأخير بسلطة الاحتلال الفرنسي على الجزائر، وتعهده بقتال الأمير والقبائل المؤيدة له.

– في بحثنا للموضوع لاحظنا أن في كتاب ابن الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري، المحقق من طرف ممدوح حقي المسمى تحفة الزائر، لم يتطرق فيه ابن الأمير إلى روش أو قصته أو خيانة روش لأبيه، علمًا أن الكتاب قد أملاه الأمير عبد القادر على ولده هذا عن المصدر الأول الذي أرخ لحياة الأمير وغيرها من المراجع التي تطرقت لحياة الأمير ومقاومته الفرنسية كلها تتطرق لبناء الدولة الجزائرية الحديثة الأولى ومقاومة الاحتلال ولكنها لا تتوسع وحتى أنها لا تتطرق لقصة روش مع الأمير وخيانته وخداعه للأمير أو قيامه للجوسسة لصالح فرنسا.

الملاحق

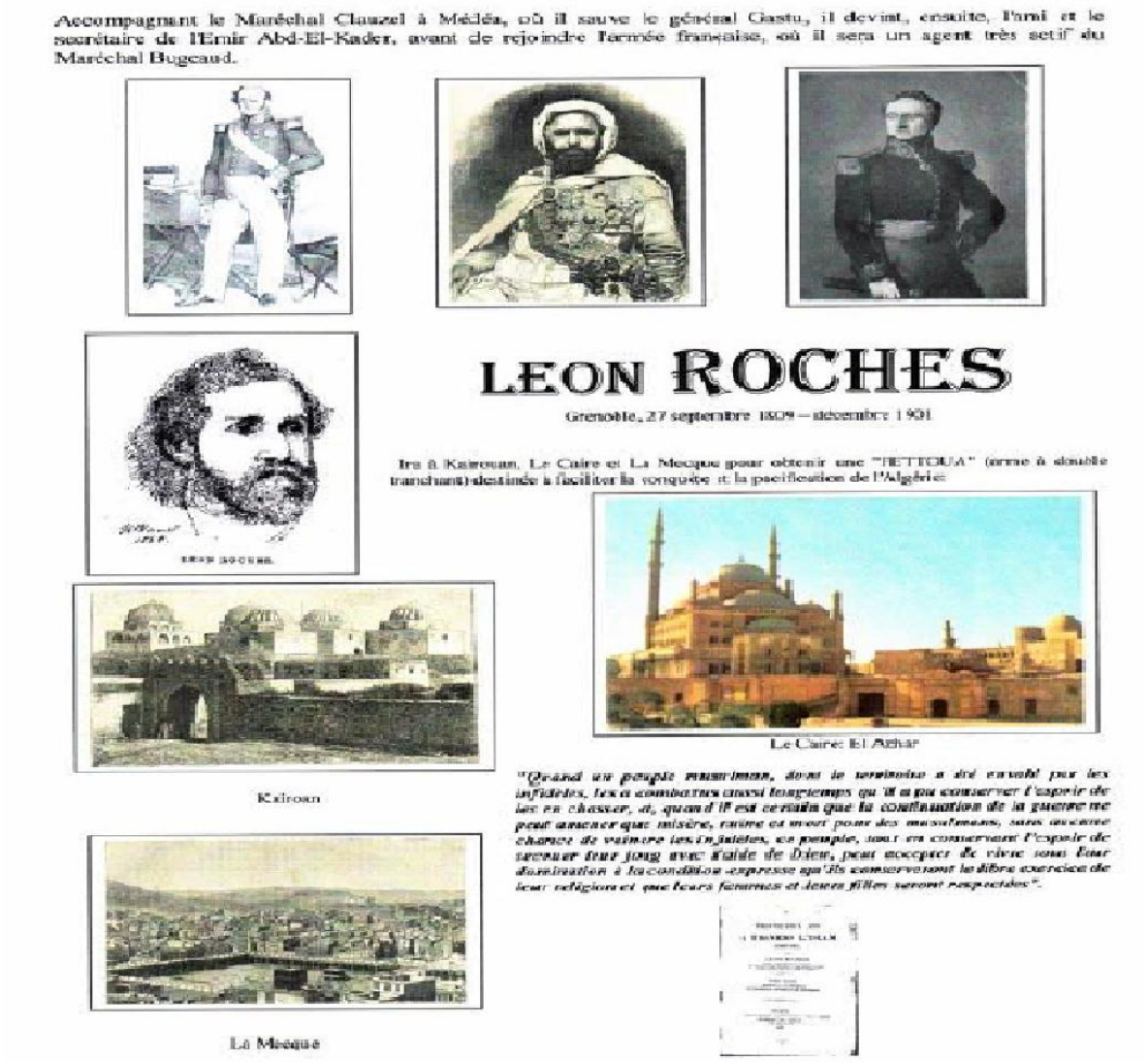
الملحق رقم 01: رسم تخطيطي لمدينة الجزائر من وضع ايفس بوتان



Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France

[1]- Gallica.BNF.fr/ Bibliothèque nationale de France

الملحق رقم02: صورة تمثل أهم المناطق التي مرّ بها ليون روش في رحلته إلى الحجاز مع صورته وصورة الأمير عبد القادر والجنرال كلوزيل وماريشال بيجو و نص الفتوى التي حملها معه.



المصدر: موقع الشهاب الالكتروني

الملحق رقم03: ملخص نص الفتوى التي حملها معه روش إلى الحجاز.

« Quand un peuple musulman, dont le territoire a été envahi par les infi dèles, les a combattus aussi longtemps qu'ila conservé l'espoir de les en chasser, et, quand il est certainque la continuation de la guerre ne peut amener que misère,ruine et mort pour les musulmans, sans aucune chance de vaincre les infi dèles, ce peuple, tout en conservant l'espoir desecouer leur joug avec l'aide de Dieu, peut accepter de vivresous leur domination à la condition expresse qu'ils conserverontle libre exercice de leur religion et que leurs femmes et leurs fi lles seront respectée . »

المصدر: ليون روش، عشر سنوات في الإسلام، المصدر السابق، ص 246

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

-المصادر

1- الأمير عبد القادر الجزائري ،مذكرات الأمير عبد القادر. تح: محمد صغير بناني و محمود سماتي ومحمد صالح الجون، ط2، دار الأمة الجزائر ،1998م.

2- تشرشل شارل هنري، حياة الأمير عبد القادر، تر:أبو القاسم سعد الله ،الدار التونسية للنشر، تونس ،1974م.

3- حركات إبراهيم ، المغرب عبر التاريخ ،ج3 نط2 ،دار الرشاد الحديثة ،الدار البيضاء، 1415ه/ 1994م.

4- خوجة حمدان بن عثمان ، المرآة،تعريب العربي الزبيري، الجزائر 1975م.

5-مذكرات ليون روش،اثنتان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام،نقلها للعربية وقدم لها وعلق عليها محمد خير محمود الباقي ،الجداول للنشر والتوزيع،ط1،ديسمبر 2011م.

6-مرسيل أميريت ، الجزائر في عهد الأمير عبد القادر،تر عبد الحميد بواريو وحميد بوحبيب، دار الرائد للكتاب، الجزائر،2014م.

-المراجع:

1- ابن زيدان عبد الرحمان ، الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، الطبعة الاقتصادية، الرباط، 1356ه/ 1937م.

2- الأميرة بديعة الحسن الجزائر،ناصر الدين الأمير عبد القادر الجزائري بن محي الدين سيرته المجيدة في حقبة من تاريخ الجزائر، ط2، مطبعة السلام، دمشق،1992م.

3- الزبيري محمد العربي ،الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،والمؤسسة الوطنية للطباعة،الجزائر،1982م.

4- الزركلي خير الدين ، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز،دار العلم للملايين، بيروت، 1985م.

5- السعيدوني ناصر الدين ، عصر الأمير عبد القادر، مكتبة الإسكندرية ،2000م.

6- العربي منور ، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، دار المعرفة، وزارة الثقافة، الجزائر، 2006م.

7- العلي بسام ، الأمير عبد القادر الجزائري (1300-1222هـ / 1807- 1883م)، ط3. دار النفائس، بيروت، 1406هـ/ 1986م.

8- الغربي الغالي،العدوان الفرنسي على الجزائر الخلفيات والأبعاد، منشورات المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954م، 2007م.

9- بنور فريد ،المخططات الفرنسية باتجاه الجزائر1792-1830م،مؤسسة كوشكار، الجزائر،2007م.

10- بوضرساية بوعزة، الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية في الجزائر خلال القرن 19م، منشورات المركز الوطني والدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م.

11- بوعزيز يحي ، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1983م.

12- بوعزيز يحي ، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري،ط2،دار الكتاب الجزائري ، الجزائر، 1964م.

13- بوعزيز يحي ، موجز تاريخ الجزائر القديمة و الوسيطة و الحديثة، ج2، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م.

14- حامت إسماعيل ، الحكومة المغربية واحتلال الجزائر، إع وتق علي تابليت، الجزائر، تر زكي مبارك ومحمد لخواجة ، منشورات ثالة، 2011م.

15- خياطي مصطفى ، الطب والأطباء في دولة الأمير عبد القادر، تر: نبيلة حك.

16- خياطي مصطفى ، علاقات الأمير عبد القادر مع اليهود (1832- 1847م)، تر: أمينة شيخ، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال، النشر والإشهار وحدة الطباعة الرويبة، 2013م.

17- خياطي مصطفى ،علاقات الأمير عبد القادر مع اليهود1832م-1847م،منشورات ANEP،2013م.

18- دردار فتحي ،الأمير عبد القادر الجزائري بطل المقاومة الجزائرية(1832-1847م)دب، 2001م.

19- رويش أحمد ، في صحبة الأميرين.أبي فراس الحمداني ، وعبد القادر الجزائري، ط1،مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطيين للإبداع الشعري،الكويت،2000م.

20- سعد الله أبو القاسم ، بحوث في تاريخ الغربي الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1424هـ/ 2003م.

21- سعد الله أبو القاسم ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، ط2. الجزائر، الشركة الوطنية، 1982م.

22- سعد الله أبو القاسم ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، الطبعة الثانية، القاهرة، 1976م.

23- قاسي فريدة ، الدولة في فكر الأمير عبد القادر (1832- 1847)، منشورات بونة للبحوث والدراسات ، عنابة، الجزائر، 1433هـ/ 2012م.

24- قنان جمال ، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619م – 1830م، دط، منشورات وزارة المجاهدين، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.

25- محمود باشا محمد، ذريعة المروحة1827م، أو الاستيلاء على مدينة الجزائر، تر: عزيز نعمان، دار الأمل، الجزائر، 2010م.

26- مناصرية يوسف ، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832-1847م ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،1990م.

27- هلالي حنيفي، العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الايالة 1815-1830م،ط1، دار الهدى ، الجزائر،2007م.

28- هنري كلود، الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي ، تر محمد العنابي، مكتبة المعارف ،مصر ،دت.

29-أبو العباس، أحمد بن خالد، الناصري السلاوي، كتاب الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، الدولة العلوية ، الجزء التاسع، تحقيق وتعليق ولدي المؤلف جعفر ومحمد الناصري ، الدار البيضاء، 1956م.

30-الجزائري مسعود مجاهد، تاريخ الجزائر، ج1، دب،المكتبة الأردنية الهاشمية،1961م.

31-الحسني الجزائري،الأميرة بديعة، ناصر الدين الأمير عبد القادر بن محي الدين سيرته المجيدة في حقبة مت تاريخ الجزائر.ط2، دمشق،مطبعة السلام.

32-العسلي بسام، الأمير عبد القادر الجزائري(1830-1954م)،ط2، دار النفائس ، بيروت، 1983م.

33-تاريخ عبد الحميد بك (تراجم من المشارقة المغاربة) دار الغرب الإسلامي، تحقيق أبو القاسم سعد الله، بيروت، 2009م.

34-حرب أديب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر (1808- 1847م)، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1983م.

35-عبد الحميد زوزو،مراسلات الأمير عبد القادر مع الجنرال دي ميشيل،وثائق خاصة بتاريخ الجزائر في عهد الأمير، ط5، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م-2013م.

36-عمار بوحوش،التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، دار الغرب الإسلامي بيروت ،1997م.

37-محمد بن عبد القادر الجزائري،تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج1، ج2، تع د.ممدوح حقي، ط2، 2007م.

38-محمد مفلاح غليزان، مقاومات وثورات 1800- 1914م،منشورات دار الأديب، دب ن، 2010م.

-المصادر والمراجع الأجنبية:

1-Abdelhamid Halim:le nord de l'oriental marocain ،thèse doctorat en Géographie ،université francois- Rabelais ، dirigée par : Anne – marie FREREoT ، 19/12/2008.
2-coloniale .Ecoles،médecines،religion1830/1880،paris،F .Maspéro، 1971.
3-Georges،Yver،(Abdelkader et le Maroc en1838)،Revue Africaine،n°60،(1909).
4-HENRI ،ideville،le marchal Bugeaud d'après sa correspondance intime et desdocuments inédits(1784-1849)،T.2،paris،1882
jaques cqil ، une mission de Léon roches 1845 Casablanca 1947.
5-L'éon .Roches. Dix ansa travere l'islam (1834-1844) préface de mcarraby .paris.1904.
6-Yver،correspondancedu capitaine Doumas، consuldeMascara(1837-1839)،Alger،1912.
7-Yvonne، Turin ،Affrontements Culturels dans l'Algérie

- الجرائد والمجالات :

1- التميمي عبد الجليل ، دور المبشرين في نشر المسيحية بتونس 1830-1881م، مجلة الأصالة، العدد: 29/ 30 ، 1396هـ/ 1976م.

2- برادة ثريا، الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية رسائل الأطروحات، رقم 37 ،جامعة محمد الخامس، الرباط ،1997م.

3- تسعديت عزيل، وزنة قاسي، مشروع بوتان ودوره في الاحتلال الفرنسي للجزائر، 1808- 1830م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، جامعة آكلي محند أولجاج – البويرة –، 1439-1440هـ، 2018- 2019م.

4- علاق محمد ،الأمير عبد القادر في كتابات العسكريين والفرنسيين،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر :قسم التاريخ ،جامعة الجزائر 2011،2-2012م.

5- محجوبي زهرة ، المخططات العسكرية الفرنسية الاحتلال الجزائر 1741-1830م،مجلة الدراسات التاريخية العسكرية،العدد1،الجزائر،2020م.

6-التقليد والتجديد في شعر الأمير عبد القادر،كلية الآداب واللغات جامعة يوسف بن خدة الجزائر،2007-2008م.

7-العربي إسماعيل، سفارة الميلودبن عراش لدى الملك لويس فليب (خلفياتها ونتائجها)، مجلة التاريخ، عدد6جويلية1978م، الجزائر.

8-بوعزيز يحي ،الطريقة القادرية والأمير عبد القادر، في مجلة مسالك،الجزائر، تصدر عن مؤسسة الأمير عبد القادر،عدد03، 1998م.

9-سلاماني عبد القادر، الإستراتيجية الفرنسية لإجهاض مشروع الدولة الجزائرية الحديثة 1832- 1874م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2008- 2009م.

-الرسائل الجامعية والمذكرات:

1- الحيدري عبد الأمير هويدي ،الأمير عبد القادر الجزائري ودوره السياسي والعسكري، مجلة جامعة بابل ، العلوم الإنسانية،المجلد 17،العدد،2009م.

2- حملاوي سهير، الجوانب الاقتصادية والاجتماعية في دولة الأمير عبد القادر الجزائري1832-1847م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المعاصر،قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،جامعة محمد خيضر، بسكرة،2014-2015م.

3- هروال هاجر ، التنظيم المؤسساتي لدولة الأمير عبد القادر (1832-1847م)،مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المعاصر ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،قسم العلوم الانسانية ، جامعة محمد خيضر بسكرة ،2015-2016م.

4-جيدل عبد العزيز، نماذج عن الجوسسة الفرنسية في الجزائر في القرن 19، مذكرة لنيل شهادة الليسانس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2008-2009م.

-القواميس والمعاجم:

-ابن منظور لسان العرب، تص: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، ج2، ط3، بيروت: دار إحياء التراث العربي،1999م.

المواقع الإلكترونية:

1-موقع الشهاب الإلكتروني.

2- Gallica.BNF.fr/ Bibliothèque nationale de France

فـهرس الموضوعات

البسملة

شـــكر وعرفـــان

إهـــــداء

قائمة المختصرات

المقدمة 9

مدخل تمهيدي: المشاريع الفرنسية لاحتلال الجزائر 15

المبحث الأول: الجواسيس الفرنسيين في عهد الأمير عبد القادر 22

المطلب الأول: نشأة الأمير عبد القادر وبداية المقاومة 23

المطلب الثاني: التنظيم الإداري لدولة الأمير عبد القادر 27

المطلب الثالث: معاهدة "دي ميشال 1834"و" التافنة 1837م" 31

المبحث الثاني: نشاط ليون روش في دولة الأمير عبد القادر (1837م-1839م) ... 35

المطلب الأول:مولد ليون روش ونشأته..... 36

المطلب الثاني: ليون روش بجيش الأمير عبد القادر(1837-1839) 40

المطلب الثالث: نهاية مهمة ليون روش في دولة الأمير عبد القادر 48

المبحث الثالث: مواصلة روش في مطاردة الأمير عبد القادر 50

المطلب الأول: رحلة ليون روش إلى الحجاز (1841-1842م)..... 51

المطلب الثاني: دور ليون روش في العلاقات الجزائرية المغربية (1845- 1847م) 59

المطلب الثالث: تداعيات مهمة ليون روش..... 75

خاتمة 79

المـــلاحق 82

قائمة المصادر والمراجع 86

فـهرس المـوضوعات..... 91